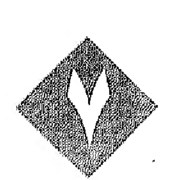
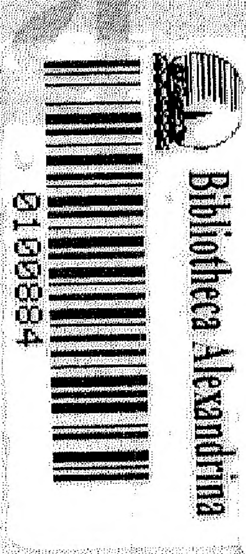
عباس محمود العقاد







أعاصير مغرب





نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

عباس محمود العقاد





اسم الكتاب: أعاصير مغرب
اسم المؤلف: عباس محمود العقاد
تاريخ النشر: يناير ١٩٩٧

رقم الإيداع: ١٩٩٦/١٣٩٧٨
الترقيم الدولي: I.S.B.N 977-14-0536-5
تصميم الغلاف: م/ محمد العطر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة.
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ / ٠٢
ص.ب: ٩٦ الفجالة
إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ / ٠٢
ص.ب: ٢٠ امبابة

الإهـــداء

إيه يا من أَوحت الشعر وخانت شاعرَهْ
لك أُهديه لِوَحيك

* * *

إيه يا من ليس يوحيه وينسى ذاكرَهْ
لك أُهديه لرعيك

* * *

هكذا أَبرأُ فى الحالين من حمد خيانة
وأَصون العهد ممن رام شعرى بصيانة
وأُدارى حيرتى خافيةً أَو ظاهرة !

* * *

المقدمة
فى اسم الديوان

شاعرٌ نرجع إليه كما نرجع إلى الصديق الذى نأنس به ونستطيب الكلام والصمت معه .

وشاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الكتاب الذى نستمتع به ونحب القراءة فيه .

وبين الشاعرين فارق . فما هو ؟ أيكون الأول أصدق فى الشاعرية وأجزل فى العبارة وأجود فى الصناعة وأجمل فى الأسلوب ؟

قد يكون كذلك .

ولكنه كذلك قد لا يكون .

لأن الصديق الذى نأنس إليه ونستطيب الكلام والصمت معه لا يلزم أن يكون خيرًا من الغريب الذى لم نعرفه ولم نأنس إليه . فقد يكون بين الغرباء من هو أفضل من أصدقائنا خلقًا وأجمل سمتًا وأطيب سيرة . وإنما يحبب الصديق إلينا أنه يشاركنا فى الشعور ويعيش معنا فى عالم نفسانى واحد ، وتلك بعينها هى مزية الشاعر الصديق على الشاعر الذى نقرأه ولا نشعر له بصداقة . فهو ينظر إلى الدنيا كما ننظر إليها ويحس بها كما نحس بها ، وإن لم يكن كذلك واختلفت بيننا وبينه وجهة النظر ومذاهب التفكير فلعله مع هذا أقرب إلى تعزيتنا والنفاذ إلى ضمائرنا من شعراء

آخرين لا يبثون فى نفوسنا العزاء ولا يعرفون إلى ضمائرنا طريق نفاذ . أما الشاعر الذى نقرؤه ولا نصادقه فقد يجيد ويَفْضُل غيره فى الإجادة ولكنه غريب نلقاه كما نلقى كل غريب .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوروبية ليوباردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين والمعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«أنظرُ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى الله مبتهلا إليه : أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلبًا يذبل مثل هذا الذبول !

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وإننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان وهو **«أعاصير مغرب»** ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب ، اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . . لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه .

ورأيى فى الغزل الذى نظمه هاردى بين السبعين والثمانين ليس بالرأى الحديث ، فلم أعجب به اليوم لأننى صاحب ديوان بعد «وحى الأربعين» . . . بل أُعجبت به لأننى كنت أرى فى زمن الفتوة أن الشعور والتعبير لا ينتهيان بانتهاء الشباب ، ومتى بقى الشعور والتعبير فما الذى فنى من مادة الغزل والغناء ؟ .

واتفق منذ بضع عشرة سنة أننى كتبت فى هذا المعنى[1] وأن كتابتى فيه كانت بصدد الكلام عن هاردى الذى أوحى إلىّ اليوم اسم ديوانى الجديد . فأثنيت على غزله أجمل ثناء ، وقلت أجيب الأديب الأستاذ سيد قطب الذى استغرب إجادة هاردى شعر الغزل فى السبعين من عمره : «إن المسألة بعد ليست مسألة نظريات يرجع فيها إلى تباين الآراء والأذواق ، وإنما هى مسألة حقيقة لا ريب فيها ولا اختلاف عليها . إذ كل ما يجب علينا لنقول إن الشيخوخة تجيد الغزل أحيانًا . . . هو أن نعلم أن توماس هاردى نظم شعر الغزل بعد السبعين وأن ما نظمه بعد تلك السن كان جيداً مقبولا رضى عنه قراء الشعر واستزادوه ، وأنه كان هو من أسباب تلك الشهرة الذائعة التى أحرزها فى عالم الشعر بين قراء

---

(١) البلاغ الأسبوعى ٩ مارس سنة ١٩٢٨ .

الأدب الرفيع بعد اشتهاره بالرواية وحدها فى سن الشباب . فهل نظم توماس هاردى غزلا جيدا بعد السبعين؟ ! نعم . . . وإذا كانت نعم هى الجواب الذى لابد منه فلا حيلة للنظريات ولا لتعريفات الشباب والحب والغزل فى نفى هذه الحقيقة المقررة . . .» .

ثم قلت : «على أننا لو فرضنا أن توماس هاردى لم يُخلَق فى هذه الدنيا ولم يكن بين أيدينا هذا المثل القريب – ولا مثلٌ غيره من الشعراء الشيوخ الذين ساهموا فى المعانى الغزلية وبلغوا فيها بعض الإجادة أو كلها – فهل تمنعنا النظريات ومراقبة الظواهر النفسية أن ننتظر المعانى الغزلية بعد انقضاء الشباب ؟ أما نحن فنقول : لا ؛ لأن الحب شىء والغزل شىء غيره ، وإن كان الحب هو موضوع الغزل والمعنى الذى يدور عليه» .

«فالحب» عاطفة شائعة بين الناس ، بل شائعة بين من ينطق وما لاينطق . ولسنا نعنى الصلة الجسدية التى تنقضى بانقضاء دوافع الفطرة فإن هذه لاتسمى حبًا ولا هى من العلاقات القائمة بين فرد بعينه وفرد آخر بعينه ، لأنها فوضى مشتركة بين جميع الذكور وجميع الإناث من فصيلة واحدة .

«ولكننا نعنى الصلة النفسية التى تجمع الفردين معًا بعلاقة لا يغنى فيها أى فرد آخر من الفصيلة . وقد ثبت للباحثين فى طبائع الأحياء أن بعض الطيور والحيوانات تتزاوج مدى الحياة وينتقل الذكر والأنثى منها آلاف الفراسخ بين أوروبا وأفريقية ثم يعودان من تلك الرحلة إلى حيث كانا سنة بعد سنة حتى يموت أحدهما أو يعتاقه عائق لا قدرة له عليه .

فالحب على هذا لا يستلزم الغزل لا فى الإنسان ولا فى غيره من الأحياء ، وإذا قلنا : إن لكل حى غزله الذى ينطق بما فى نفسه فليس يسعنا أن نقول : إن كل محب شاعر ، وإن كل متغزل فنصيبه من الحب مثل نصيبه من الغزل على السواء .

«إن الذين يقتلون أنفسهم حبّاً من غير الشعراء الغزليين أكثر جداً من الذين يبلغون فى الحب هذا المبلغ بين أولئك الشعراء . فلا ريب أن الشاعر لا يحسن الغزل بغير حب ، ولكن لا ريب كذلك فى أن الحب قد يعلو حين يهبط الغزل ، وأن الغزل قد يعلو حين يهبط الحب ، على درجات لا تناسب بينهما فى العلو والهبوط» .

« . . . والشباب هو سن احتدام الشعور وهجوم الحياة ، ولكن أى شباب وأى شعور ؟ فقد يقضى الفتى أوائل شبابه ولا معنى للحب عنده إلا أنه «وظيفة فزيولوجية» مبهمة يساق إليها بغير هداية ولا تمييز . وقد يطلب الشريك فى الحب وهو لا يعلم ما الذى يطلبه فيه وما الذى يأخذه منه وما الذى يعطيه ؟ لأن الحب عنده هو جوعة جسدية أو نفسية يشبعها أى شريك يصادفه ويلفيه على مثل حاله من الرغبة والاشتياق . وقد يكون احتدام شوقه ناقصًا من حبه ، كما أن احتدام الجوع فى الجائع يغنيه بكل طعام حاضر ، ويجعل الأكل هو المقصود لذاته ، لا الصنف ولا الطعم الذى يميز ذلك الصنف من سواه» .

«والحب على أتمه وأعمه وأقواه هو تفاهمٌ بين نفسين وامتزاج بين قلبين وجسدين ، وقبل أن يفهم الإنسان نفسه كيف ينشد التفاهم مع نفس حبيبه ؟ وقبل أن ينكشف له قلبه كيف يعرف

مـواضع الكشف والحـجـاب من القلوب ؟ وقـبـل أن يكمل بناء جسمه كيف تكمل فيه رغائب الأجسام ؟ وقبل أن يعرف النساء كـيف يعـرف المرأة ؟ بل قـبل أن يزاول الحـيـاة كـيف يزاول لبـاب العاطفة التى تنضجها الحياة ؟» .

«فليس الاحتدام هو الحب نفسه ، لأن هذا الاحتدام قد ينقص من الحب ، كـمـا أن الحب قـد يلهب الاحـتـدام فـيـمن لم يكن يعانيه» .

« . . . فللشبـاب حبه ، وللرجولة حبـهـا ، وللكهولة بعد ذلك حب لا يشبه الحبين» .

« . . . وإذا تقـضى الشـبـاب وتقـضت بعـده الرجـولة وتقـضت بعدهما الكهولة فهل تنفد مؤنة الغزل وهل تبطل دواعيه ؟ كلا ! فهناك الحنين والتذكار وكلاهما مؤنة للغزل لا تنفد وداعية حاضرة فى كل حين . ولو سألنا الشعراء الذين عـالجوا النظم فى خوالج النفوس شيوخًا وشبانًا لعلمنا منهم أن خير ما نظموه فى شوق أو حزن أو ألم أو خالجة ثائرة أيًّا كـان فـحواها إنما كان كله من قـبـيل الحنين والتذكار . لأنهم ينظمون بعد فوات الثورة الداهمة واطمئنان اللوعـة العـارضـة ، فـيـسلس لهم المعنى ويصفو الشـعـور من كـدر الدخان والضرام» .

« . . . فلا عـجب أن يجيـد هاردى الغـزل أو يجـيـده سـواه من الشيوخ سواء أنظرنا إلى الحقيقة الواقعة التى لا ريب فيها أم نظرنا إلى المعهود من أطوار النفوس والقرائح . وقد يحسن أن نذكر بعد هذا أن إجادة هاردى فى الغزل لم تكن إجادة مطلقة يطمع فـيـهـا

كل شيخ ينظم القريض وتثبت له العبقرية ، ولكنها كانت إجادة هاردية عليها سمة الرجل وفيها طبيعة مزاجه التى لم تفارقه فى شباب أو شيخوخة» .

ومضت الأيام والسنون بعد كتابة هذا المقال فلم يكن فيما قرأت ولا فيما عرفت شىء يخالف ما بدا لى من هذا الرأى منذ نظرت فى حقائق العاطفة والتعبير . وأحرى أن نعلم مع الزمن أن العاطفة ألزم للحياة الإنسانية وألصق بها وأعمق فيها من أن تحصرها فترة واحدة أو تحتويها صورة أو يختمها عهد واحد . فهى - ككل شىء فى الحياة - تزداد فهمًا على طول المصاحبة وطول المراس والمساجلة ، وعلى حسب ازدياد الفهم يزداد التعبير ويزداد الاستكناه والتصوير . وبخاصة بين الذين يقضون حياتهم فى عالم الشعور والجمال ، وهو عالم الفنون والآداب ، وهم الشعراء والموسيقيون والمصورون والممثلون .

ويصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى . أو هو العهد الذى تُفاجَأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها به خبرة من قبل . فيشاهد عليها ما يشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك فى حالة كحالة الشاب فى أول عشقه : وجهٌ ساهم وفم مفغور ، وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونَفَس مطرود . . . وهذه هى الحالة التى يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره ، مع أنها أحرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تعهدها البنية ولم تألفها النفس فلم تزل بها حاجة إلى التثبت منها والرياضة عليها . ثم تأتى هذه الرياضة شيئًا فشيئًا مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور .

فى هذه الحالة - حالة المفاجأة - تتفتح النفس على عالم مسحور حافل بالصور والزخارف والأسرار ، وتجود القريحة بالمعنى البكر والخيال الطريف ، وتتسع للشاعر منادحُ للإحساس ولوصف الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين المجلّين . ولكنّ سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير فلا يمتنع عليه سبيل القول بامتناعه ، كالذى تسحره المدينة لأول نظرة فيصفها على التو والساعة فى الصورة المتوهجة التى أضفاها عليه سحرها . ثم يقيم فيها سنة وسنوات فلا يجهلها بعد معرفة ، ولا يعز عليه وصفها بعد قدرة . ولكنه يصفها غير مسحور ولا مبهور . فيخسر وصفه ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظرة وطول الخبرة وصدق المشاهدة ، كأنما تغيرت المدينة وهى لم تتغير بين النظرتين ، ولا أخطأ واصفها فى إحدى الحالتين .

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة ، فكيف يكون شأن العالم النفسانى الذى ليست له حدود ؟ وكيف يستنفد هذا العالم الرحيب فى نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى ؟ وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضيفًا يفارق الحياة بعد المصافحة الأولى ولا يعلم أنها هى صاحبة الدار ، وأنها هى هى الحياة ؟

فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفسانى حيثما تشاء على اختلاف الأوقات والأجواء ، وليست أعاصير المغارب بدعًا فى عالم الأكوان ولا فى عالم الإنسان .

وقد أشار علىّ صاحبنا هاردى فأحسن المشورة فيما اخترت لتسمية هذا الديوان . فقد نظمته بين ثوائر الأفكار وثوائر الحروب

وثوائر الصدور ، فلو بحثت له عن عنوان أدل على ما فيه لانقطع عنان الاختيار دون المراد .

* * *

سألنى صديق يرى أننى تشاءمت من حيث يتفاءل فقال : ولم استعجلت المغرب وقد أجله صاحبك هاردى إلى ما بعد السبعين بل الثمانين ؟

قلت : يا صديقى اقرأ أبيات بيرون إن شئت ولا تقرأ أبيات هاردى إن لم تشأ . . . فإنما هى حالة تلم بالرجل فيما قبل الأربعين كما تلم به فيما وراء السبعين .

وبيرون ماذا قال فى السادسة والثلاثين ؟ ماذا قال وهو فى يقظة الحياة ومعترك النضال ؟

نظم تلك الأبيات التى سماها بعضهم «عيد ميلاد أخير» فقال :

«آن لهذا القلب أن يسكن ، مذ عز عليه أن يحرك سواه ، ولكنى وقد حُرمت من يَهْوى إلىَّ ، حسبى نصيبًا من الحب أن أَهْوى .

إن أيامى لمكتوبة على الورقة الذاوية . إن زهرات الحب وثماره ذهبت إلى غير رجعة . إنما السوس والديدان وحسرة الأسى ، هى لى . . . لى وحدها تحيا .

وهذه النار التى تأكل الحنايا ، كأنها جزيرة بركان فى عزلة قاصية حممها لا توقد جذوة أُخرى ، وإنما هى نار تبيت على سرير الردى .

وتلك الأشواق والأوجال والهموم الغَيرى . ذلك الحظ المقسوم

من اللوعة العليا . تلك القدرة على الهيام والهوى . ليس لى منها حصة تبقى ، فما لأغلالها فى عنقى لا تنزع ولا تبلى ؟» .

* * *

نظم بيرون هذه القصيدة فى عيد ميلاده السادس والثلاثين ، ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذى لا حب بعده ولا حياة ، ولكنْ هكذا كان على ما أراد - أو على غير ما أراد - فماذا تغنى السنون القصار أو السنون الطوال ؟ إنما هى حالات تلم بالنفوس فى كل حين ، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان ، والزمن وحده يصدقهما أو يكذبهما فيما يقولان .

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب فاذكر متفائلا أن ساعات الغروب هنا بغير حساب . فمنذ سنين جمعت دواوينى الشعرية فسميت الجزء الأول منها «يقظة الصباح» وسميت الجزء الثانى «وهج الظهيرة» وسميت الثالث «أشباح الأصيل» وسميت الرابع «أشجان الليل» . . . ثم ظهرت لى بعد ذاك الليل وأشجانه ثلاثة دواوين هى : وحى الأربعين ، وهدية الكروان . وعابر سبيل ، ثم ها نحن أولاء فى هذا المغرب وفى هذه الأعاصير . . . فهل نحن راجعون ؟ وهل للشمس من «يوشع» يؤجل لها مواقيت الغروب ؟ إن كان للشعر «يوشعه» فليس نصيب هاردى من مغربه المديد أمنية أشتهيها ، وليس نصيب بيرون فى ضحاه القاتم نعمة أرتضيها ، وإن كانت الكلمة فى هذا للقضاء يفعل ما يشاء ، ويتبع أسلوبه فى الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب .

عباس محمود العقاد

فى العالم

يارب . . . ويا خلق !

* * *

يارب !

يـارب أَعـطـينـاك أَرواحـنـا فى هذه الحرب وفى الماضيةْ
يا ربنا فـــاقْضِ لنا مـــرةً بالسلم فى أَيامنا البـاقـيـة

* * *

ياخلق !

يِا خلق مـا أَرواحكم سـمـحةً عندى ، ولا إن سمحت كافية
أَعطيـتمُ إبليس أضعـافهـا من حَيَوات عندكم غـاليـة
وبعـتمُ فى سـوقـه كلَّ مـا وهبتكم من عيشة راضية
لم تشتـروا السلم بأرواحكم بل اشتـريتم نقـمة ثانيـة
عطاؤكم إبليسَ سـمحٌ بلا أجـر ولا أُمنيـة خـافـيـة
ومـــا بذلتم قط لى قُـــربةً إلا رجاء العفـو والعـافيـة !

* * *

عباد الطغيان

كلكم . كلكم مع الغالب الظا لم لا تعدموا من الظلم رغما !
لو وقفتم يوماً إلى جانب المغلو ب مـا فـاز غـالبٌ قط ظلمـا

قريب قريب

عجبنا زمانا لهذى الحروبْ وما فى الحروب لَعَمْرى عجيب
أَتعجب من أَن قوما تمو ت ، ومن أَن قومًا قساة القلوب
وما قسوة الناس بدعٌ ولا أَرى موتهم بالجديد المريب
فهذى هى الحرب ياصاحبى كلا طرفيها قريب قريب

* * *

فصد !

قالوا : هى الحرب فصْدٌ به الشفاء يُؤَمَّل
قلنا : نعم . فصد عرق حىٍّ وإعفاءُ دُمَّل !

* * *

الخلود المزدرى

نفوسٌ أَعاف مقامى بها أَأَخلد فيها؟ لبئس الخلود !
وسجنٌ أعاف وجودى به أَليس كفيلا ببغض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبى خالد يك ، وقل من مُزَكٍّ لهم أو شهيد
فلا خير فى عيشهم سرمدا إذا سُرمدوا فى ضمير القرود
فرب خلود كقيد السجين ، ونسيان قوم كفك القيود

* * *

سوء توزيع

دنياك فيها جمال ورحمة وسرور
تُلقَى ولا تبتغيها وتُبتَغى فتجور [1]
هذا هو الشر عندى ومنه تنمو شرور

* * *

بأس الطغاة

بأْس الطغاة تقول ؟! مهلاً . عداك الذهول
هيهات يطغى ابن أنثى فى أُمةٍ أو يصول
ما لم يُعِنْهُ عليها جهل وحقد دخيل
هما الأصيلان فاعلم وكل طاغ وكيل
وما لطاغٍ سبيل لولاهما أو دليل

* * *

الداء العالمى

أرثى له عالَمًا شقيًا يقاد مستسلمًا زريًا
ومن هم القائدون ؟ . . رهط
من شرهم خسةً وغيا
هذا هو الداء لا قتالٌ
يطوى صفوف الجموع طيا

(١) جار عن الطريق : حاد عنه .

فالجهل يزرى بكل حى ولا تعيب المنون حيا

* * *

قلت للمريخ [1]

قلت للمريخ أعذله وهو يذكى جمرةَ الغضب
ويك ! ما هذا الخراب ؟ وما ذلك الإغراق فى العطب ؟
أُمَمٌ تسطو على أمم ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على عيْلم[2] للدمع منسكب
وقبور كظَّها تَخَما جثثُ الهلكى من السَّغب [3]

* * *

قال : مهْ يا صاح أَين ترى كلٌّ ما استهولتَ واعجبى
أَرضكم ما زلت أبصرها نائيًا حينًا وعن كثب [4]
هَيِّن ما قد تبدّل من سمتها فى هذه الحقب

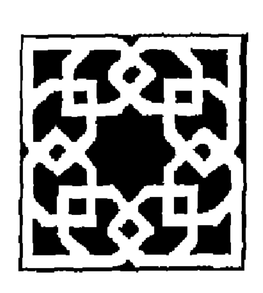
* * *

جزاء اللّه

جزى اللّه هتلر أوفى الجزاء بما قد أَجاد وما قد أَساء
فما زال يقذف من حوله مواعظَ يلقفها من يشاء
أَلم نر كيف يكون الحقير حقيرًا ويقضى بأَيدى القضاء
وينهى ويأمر فى قومه ويبرم فى أَمرهم ما يشاء

(١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب. (٢) بحر.
(٣) الجوع (٤) عن قرب.

ويغــزو الممـــالك فى عــالم تُفـــدَّى ممالكه بالـدمـــاء
ويفـــتح باريس فى وثبـــة ويوصـــد لندن دون الهـــواء
فـوالله مـا الحـرب فى هولهـاً وفى كل مـا خيّبت من رجـاء
بضـــائعـــة عـــبـثًا لو درى بنـو آدم كـــيف يُزجَى الثـنـاء
فـقـد يضـخّم العـمـل المزدرى فـيضـخم ضـعـفين فى الازدراء



في النفس

هذا هو الحب !

غريزةٌ تسأل : ما الحب ؟

بُنيتى ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أَن أُبصــر مــا لا يُرى   أو أغـمض العين فـلا أبصـرا
وأن أُسـيغَ الحق مـا سـرَّنى   فـإنْ أَبى ، فـالكَذِبُ المفـترى

* * *

الحب أَن أَســأَل : مــا بالهم   لم يعشـقـوا المنظر والمخـبرا ؟
ويســأل الخــالون مــا باله   هام بهــا بُهْــرًا ومــا فكرا ؟

* * *

الحب أَن أَفــرق(١) من غلة   حينًا ، وقد أَصرع ليثَ الشَّرى
وأَن أَرانى تـارةً مــقــبــلا   وخطوتى تمشى بِىَ القـهـقـرى

* * *

الحب كـالخمر فـإن قـيل لى   سكرتَ ؟ هَمَّ القلبُ أَن يُنْكِرا
وكل عـضــو بعــده قــائل   نعم ، ولا أحــفل أن أسكرا

* * *

الحب أَن يَفْـرقَ أعــمــارنا .   عـهـدان ، والعـهـد وثيق العُرَى
أحـسبنى الأكـبـر حـتى إذا   عـانَقْتِنى أَلفـيتِنى الأَصْـغَرا

---

(١) أخاف .

الحب أَن نصعد فوق الذرى والحب أَن نهبط تحت الثرى
والحب أَن نؤثر لذاتنا وأَن نرى آلامنا آثرا

* * *

الحب أَن أجمع فى لحظة جهنم الحمراءَ والكوثرا[1]
وإننى أخطئ فى لهفتى مَنْ منهما رَوَّى ومَنْ سعَّرا

* * *

الحب أَن يمضى عام وما هممت أَن أنظم أو أشعرا
وربما علّقت فى ساعة حواشى الدفتر والأَسطرا

* * *

بُنيَّتى ! هذا هو الحبُّ
فَهِمْتِه ؟ كلا . ولاعَتْبُ !
مسأَلةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها ، لو شَفَتْ حسب ،
إشارة دق لها القلب

* * *

عمر زهرة

فريدةٌ فى روضها أخيرة فى الموسم
عيشى وأَهدى غيرها فى كل عيد ، واسلمى
أَلست أنتِ مثلها علمت أَو لم تعلمى
هدية الخلاق لى وقد رأَى تنسمى ؟ [2]

(١) الكوثر : نهر فى الجنة .
(٢) تنسم ، تلطف فى طلب الخبر أو الرائحة .

زهرتك البيضاء هلاّ تذكرين نشرها؟ (١)
حفظتها فى خدرها هل برحت مقرها ؟
حفظتها . حفظتها فهل حفظتِ سرها ؟
قصصتُ منها عقدة لكى أطيل عَمرها

* * *

من يحفظ الزهرة أُسبوعاً إلى تمامه
قد يحفظُ الحب إلى السابع من أعوامه
فانتظريه فى غد يسأل عنِ غرامه
ولا يمسه إلا لكى يزيد فى أَيامه

* * *

وتسأَلين ما لنا نقص منه يا ترى ؟
نعم فكل حى ناقصٌ ما عُمِّرا
كم ساعة نبترها تزيد فيه أشهرا
فلا يزال مشتهىً ولا يزال أَخضرا

* * *

كوبيد يتسلل

نفض النعاسَ فؤَادُه وصبا وصحا ، فمال ، فهام فاضطربا
ونفى السآمة بعد ما بلغت منه المُشاش (٢) ، وعاود اللعبا
وجرى الذى ما كان يحسبه يومًا يكون ، وطالما حسبا
فى توبة الخمسين يشغله وجهٌ ، ويملأُ صدره رَغَبا
ويظل يسأله ، وإن وهبا . . . ويبيت يسمعه ، وإن كذبا

---

(١) رائحتها .

(٢) رأس العظم .

ويعـــد منه الزور مـــأْثرة أو لا يريد بزوره ســبـبــا ؟!
رجع الهوى . عجبًا له ، عجبا ! لا طاغـيًـا وافى ولا لجـبـا
لـم أُولِهِ باباً ولا كـنـفًــــا عندى ، فكيف أطل واقـتـربا
ناديتُــه حــينًا فــراوغنى فــاليــوم نادانى ومــا طُلبـا
بينا أَقــول صــددته حــذرا طلع النهــار إذا به انســربا
لُـذْ يـا بـنـىَّ بمـن يـلاذ بـه ولك الحمى ، وما لم تهج غضبا

* * *

هذا الصـغـيـر على غـرارته يدرى النفـاق ويحـسن الأَدبا
وتراه فى العشرين مـستـبقًـا وتراه فى الخمسين مـصطحبا
ويغـيظ من كـيـد وعـربدة فـإذا أُغـيظ شكا أو انتـحـبـا
مـتـمـرّسًـا بالدهر مـخـتـبرا خـيم[1] القلوب مـحـاذراً دربا
سـأضـمـه رفـقًـا ، وأوسـعـه برًا ، وأَملك قلبـه حــدبا[2]
ويقـيم لا أخـشى كِنانتـه [3] . . . السهم أخطأ والحسام نبا

* * *

أكــذاك أم هو خــادعى أبدًا حتى إذا أَمن الحمى انقلبا ؟
ســيــان . مــا أنا حــاذر لغــد أغلبـتــه بالكيـد أم غلبـا
حـذرى أشـد علىَّ من خـدع تُشـقى وتُسـعـد بالمنى نُوَبا
فى كـل يقـظة خــائف هَرَمٌ ومع الخـديعـة لذةٌ وَصِـبـا

* * *

(١) الخيم : الطبيعة . (٢) عطفاً .
(٣) قدماء اليونان يصورون الحب طفلا يحمل كنانة يرمى بأسهمها من يلقاه .

مسرة واحدة

تم الكتاب وألقت باليراع[1] يدى وضُمِّن الطرسُ إحساسى وإدراكى
مالى به غير مسرور ولا كلف ألا يَسُرُّ يمينًا نبثُها الزاكى
ضيَّعتُ فيك مسراتى فما بقيت لى من مسرة شىء غير لقياك
لولا هواك لألهانى السرور به عن عالم ضاحك أو عالم باك

* * *

دنيا مقلوبة

صوت النذير[2] الذى أبقاك خائفة على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحب والحرب وا ويّلا قد اجتمعا فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

* * *

الحب

ما الحب روح واحدٌ فى جَسَدىْ معتنقين
الحب روحان معاً كلاهما فى الجسدين
ما انتهيا من فرقة أو رجعة طرفة عين

الطير المهاجر

علمتنى مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم
أتراني لا أسمع الطير إلا فى رياضى معششًا لا يريم[3] ؟
رب شادٍ فى هجرة يتغنى وعليه السلام والتسليم

(١) القلم . (٢) النذير بالغارات . (٣) يفارق .

من جنوب إلى شمال ، وحينًا   من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقل[1] وداع   وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كلَّ يوم جديدًا   فسواء جديده والقديم
كم مُوَلّ وصفوهُ لا يُوَلِّى   ومقيمٍ وصفوه لا يقيم

* * *

الصدار الذى نسجته

هنا مكان صدارك   هنا هنا فى جوارك

* * *

هنا هنا عند قلبى   يكاد يلمس حبى
وفيه منك دليل   على المودة حسبى

* * *

أَلم أنل منك فكرة   فى كل شكة إبرة
وكل عقدة خيطٍ   وكل جرة بكرة !

* * *

هنا مكان صدارك   هنا هنا فى جوارك
والقلب فيه أَسير   مطوّق بحصارك !

* * *

هذا الصدار رقيب   على الفؤاد قريب
سليه : هل مرَّ منه   إلىَّ طيف غريب ؟

(١) حين يبرح ويسافر.

نسجته بيدك على هدى ناظريك
إذا احتوانى فإنى ما زلت فى إصبعيك

* * *

قولى مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

* * *

حديثك الممتع لى
من ثغرك المقبَّل
وأنت لى فى منزلى
وشيكةً أن تخجلى

من قبلة حَرَّى إلى لغو إلى ابتسامة
ولا تقولى عندها لا .لا . مع السلامة

حتى إلى القيامة

* * *

أَما إذا مِسرَّتى [1]
نادتك يا حبيبتى
فاستمعى تحيتى
ثم «اسأَلى عن ليلتى»

---

(١) ترجمة حديثة لكلمة التليفون .

ثم اضحكى وسلسلى
ضحكتك النّغامة

فإن أَطلت بعدها ... فهذه علامة
قولى مع السلامة ... قولى مع السلامة

* * *

الغيرة

إذا رابك القلب الذى لاتنوشه ... مخالب من وسواسه أو نواجذ[1]
فلا تحسبى أنى خلىٌّ من الهوى ... ولا أننى سال هواك فنابذ
ولكننى راض بما تظهرينه ... وما أنا فى السر المُغَيَّب نافذ
فلستُ إلى ما فات منك براجع ... ولا أنا مُعطٍ فوق ما أنا آخذ

* * *

هبة لا تنقل

تريدين قلبى؟ خذيه خذيه ! . . . ... رويدك . لا . بل دعيه دعيه !
دعيه إذا غبت عنى أرى ... محياك فيه ، وحبىَ فيه
وسرٌّ أبوح به خلسة ... وإن كنتِ من قبل لم تسمعيه
أخاف على البعد أن تلعبى ... به يا بنية أو تهمليه
فكم لعبة وقعت من يد ... يك وقوعًا أرى القلب لا يشتهيه
إذا ما لعبت به ها هنا ... فإنى لآمن أن تكسريه
تريدين قلبى ؟ خذيه خذيه ... ولكن بربك لا تنقليه

(١) ناشه : تناوله وأخذ به ، والنواجذ : أقصى الأضراس .

بعض الزراية

بـعـض الـزرايـة نـافـع   فى حبهن فلا تُغال[1]
لـولا الـزرايـة لـم تـطـق   منهُنَّ مشنوء[2] الخصال
مـا حـبـهـن من المهـا   نة فى قـرارته بخـال

* * *

قبل السكر

لمع الشـراب وراق مـنظره   فـرشـفت منه خـلاصـة الراح
حـتى إذا غـالبت سكرته   صفَّقته[3] ، فرددت أقداحى
شكرًا . فـمـا أقسى المغبـة لو   أمسى يشابِ ولست بالضاحى
قَـدَحـانِ أَسلمُ لى ، وإن فـتنت   عـينىّ لمعـةُ حـسنه الضـاحى

* * *

لغير البيع !

جـواهر الحب قـالوا غـيـر زائفـة   مـهـلا ! فـمـا أنا فـيـه بائع شـار
كـلا ، ولا أنا من شك ولا ولع   بالسر عارضٌ أحجارى على النار
خذ معدن الحب إن ألفيت معدنه   إنى قنعت بومض منه غـرار
مـا لـلأناسىّ من حـب يدوم ولا   حب يقـوم على صـدق وإيثـار

* * *

(١) أى : لا تبالغ .   (٢) المشنوء : المستقبح .
(٣) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء .

جزاء التحدى

بُنيَّة ما صنعت ؟ جزاك ربى بحب فى مشيبك مثل حبى
لقد غيرتنى حتى لو انى أرى قلبى إذن لجهلت قلبى
سلينى كيف كنت وكيف صرت وقولى ما صنعت وما صنعت
قدرت على الحوادث بعد لأى(1) وها أنا ذا كأنى ما قدرت

* * *

أخاف وكان لى قلب قرير فها أنا ذا إذا صَفَر النذير (2)
أتوق إلى غد لتراك عينى وأرجم من يغار بمن يغير

* * *

وكانت لى سلالم أرتقيها فرادى لا أُبالى ما يليها
فعدت مُثَنِّيًا عَجِلاً كأنى أخو العشرين مرتقيًا سنيها

* * *

وكنت من السآمة لا أُبالى . . . أذمَّ الناسُ أَمْ حمدوا فعالى
فها أنا ذا أسائل ما عساها ستسمع فىَّ من قيل وقال

* * *

وكنت هزئت حتى بالجمال وحتى بالفنون وبالمعالى
فما لى اليوم لا أرضى بحال وكنت الأمس أرضى كلَّ حال؟

* * *

---

(1) اللأى : البطء .

(2) نذير الغارات .

أعـود إلى الحـيـاة فـتلك عندى همـوم المسـتـعـيـد المسـتـعـد
تحـديثُ الحـيـاة فـهل جـزتنى بهـذا الحب عن ذاك التحـدى ؟

* * *

إعفاء

أُعــفــيك من حليــة الوفــاء إنك أحلى من الـوفـــــاء . !
خونى ! فمـا أسـهل التقـصّى عندى ومـــا أســـهل الجـــزاء
وليس بالسـهل فى حـسـابى فَــقْــدُكِ يا زينة الـنســـاء

* * *

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذى يُعقب الشكوى
فحبى من النعمى ، وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حــجـــة
فلا نار بعد اليوم . . . اليوم للحلوى ! (١)
ومـخّـضـتـه مـاء الشـبـاب فـمـا ارتوى
فـهل فى خـريف العـمـر يطمع أن يُروى
رضيت بما أعطَى وأحسبه ارتضى بما أنا معطيه على غير ما يهوى
فلا زال فى عقباه ضحكا بلا بكًا ووصلا بلا هجر ، وهجرًا إلى سلوى

* * *

(١) يستقيم الوزن بالوقوف التام على «اليوم» الأولى ، ثم الاستئناف على «اليوم» الثانية - وهو مالا يجيزه المتشدّدون من العروضيين ويؤثرون عليه إدخال فاء العطف على «اليوم» الثانية .

زهرة ديسمبر

خــل أَيّــار (٢) ونــوّارا لــه ربما أعــجب قــومًــا ربما
خــيــر نَوّارى الذى أُهديتُــه زَهَرٌ فى شــهــر كــانون(١) نما
عــيـد مـيلادك من بسـتـانه يا ربيعًا فى الشتـاء ابتـسـمـا
هات ياكــانون زهرًا كـلـمــا سـقط الزهر تعـالى وسـمـا

* * *

من تقليد «نشيد الأناشيد»

أجلْ تلك خـبــاياها وهـاتـيـك خـطـايـاهـا
فــهـل تدرين مــاذا ك الذى يدعى مزاياها ؟!

* * *

لما فـيـهـا من العـيـب سننسـاه وننسـاهـا
وللحـسـن الذى فـيـهـا سنُحـيى الآن ذكـراها

* * *

سأحصى لك ما يعجب منهـا ، وهو كـالشـمس
كما أحصيت ما يغضب بعــد السـعى والـدس

* * *

ثـنـايـاهـا . ثـنـايـاهـا وهل ذقتِ ثنيـاهـا ؟
وعــيناها ، ويا للقلب ! كم تسـبـيـه عـيناها ؟!

* * *

(٢) أيار وكانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء .

وتلك الوجنة الخمـ ـرية السكران رائيـها
أفى الجنة يارضـ ـوان تفاح يحاكيها ؟!

* * *

وتلك القامة الهيفا ء زانتـها زواياها
إذا ما جار ردفاها أقام الجور نهداها

* * *

وتلك النسمة الحلو ة فى ثوب الأناسىّ
هى الروح الفراشـ ـية فى النور السماوى !
دعيها تفسد الخمسـ ـين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الإكسـ ـير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من حُميّا[1] الشـ ـعر إكسيرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدنـ ـيا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج

ما الحب من محض الصدا قة يابنى ، ولا العداء
الحب فيه الخصلتا ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء والاغتصا ب ، وقل على الدنيا العفاء!

(١) الحميا : سَوْرَة الخمر .

مسابقة

أغنيتها عن خدعتى زمنا   وخدعت نفسى فى محبتها
فبلغت أقصى الظن ممتحنا   صبرى ، ولم ألحق بخطوتها

* * *

لاتخلفى !

لا تخلفى وعدى فأكبر لذتى   فى الحب إعزازى لصاحب عهده
ويغضّ من إعـــزازه ودلالـه   أنى إذا وعَـدَ ازدريت بوعــده

* * *

أخلفى

إن كـان خلفك للوعـود تدللا   بمكانك الغـالى لدىّ فـأخلفى
مـا كنت أُتبعـه القطيعـة آنة   هو منك واعجبى يطيل تشوفى

* * *

بنت البحر

أبُنَيَّةَ البحر التى ضربت لنا   بسكندرية مـوعـدًا لتـلاق
إنى مددت يدى لتلمس شاطئى   قدماك لا لِتُعَجِّلى إغـراقى

* * *

اكذبينى

اكـــذبينى مـــرة أو   فــاكــذبينى مــرتين

أَلف أَلف من أعــاجـيـبـك فى غش ومين [1]
لن تبيـد الفـارق الخـا لـد يا قــرة عــينى
والســمــاوات التى بينك فى اللب وبينى

* * *

اكـذبينى واكـذبينى كلما شئت اكـذبينى
مـا غناء اللب عندى إن أَبى أَن تخدعـينى
أنـا فـى ثروة وفـر منه مهـمـا تسلبـينى
أنقصيهـا . أى ضيـر ؟ درهمًـا أو درهمين !!

* * *

تقويم العام

تقـويم هذا العـام من لحظاته الأولى لديك
قـومى ارفعيه وارفعى عنه الغطاء براحـتيك
من يوم مطلعـه إلى رجـعاه موقوف عليك

* * *

وإذا انتـهت أيامـه ولكل عـام منتـهـاه
فعليك أنت وداعـه .. وترحِّـبين بما تلاه
ويحـي إذا دار المدى ورعيت وحدى ملتقاه !

* * *

(١) المين : الكذب .

هى قُبلة ضَمَّتْ عُرَى		عامين فاتصلا اتصالا
ومُنَى الخواطر فى غد		عام كسابقه مآلا
لا تَعْجِلَنّ به فما		أَقسى الحياة على العجالى

* * *

لا . لا . فهذا يومنا		وغدٌ ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمض عينى ومسـ		ـتمع إلى حادى الرجاء
فإذا سمعتِ حُداءه		فدعيه يمضى حيث شاء

* * *

وعام ثان

بشراى . ما أَنا شاهد		يا عام وحدى ملتقاك
دارت بُروجُك والهوى		يخطو وتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلا		ومضى ، فلم أَذم قفاك

* * *

هذى فتاتى هذه !		هى لاخلاف ولااشتباه
هى فى بديع قوامها		هى فى الصبا ، هى فى حلاه
هى فى غوايتها وآ		هٍ من غوايتها وآه

* * *

ضُمى تُغيْرك يا بنية		وابعثى منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى		عام ، ولكن بالقُبل
إن ساعفتنى ليلة		فدعى العهود إلى أجل

* * *

عـــام تفـتَّح بالرجـــا ء وبالرجـاء خـتـمـتـه
ودَّعتَ ذاك العـــام فى قربى كـمـا اسـتـقـبلتـه
قـولـى ، وقـد ولّى ، أفى شـرع الوفـاء قـضيـتـه ؟

* * *

لا تخـدعـينى يا بنيـة بالوفـاء من اللسـانْ
خُنّا وخُنْتِ ولا أقـــو ل سلى فـلانة أو فـلان
ذهبت خـيـانتنا مـعًـا والآن نحن البـاقـيـان

* * *

ذهبت خـيـانتنا كـمـا ذهب الوفـاء ومن يَفُـون
لا ذمَّـــةٌ تبـــقى ولا يبـقى الوفىّ ولا الخؤون
كم ذمـة ضـيـعـتـهـا يا عام فى تلك الغضون !

* * *

انظر ألست ترى فـتـا تى حيث كنتُ ضممتها
فى جلسـة الأمس التى حتى الصباح جلستها
فكأنهـا مـافـارقـت صـدرى ولا فـارقـتـهـا

* * *

وإذا ســـألـتَ وربما جاء السؤال بلا كـلام :
«مـاذا تقـول مـودعى والليل يومئ بالسـلام»
حيرتنى ياعام فاستمـ ـع الجـواب ولا مـلام

* * *

مـا كنت عندى أيّهـذا العـام كُلكَ بالسـعـيـد
لكن سـويعـات مـضت لى فيك تُنْسى ألفَ عيد
غـفـرت ذنوبك كلهـا وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى أَعطت ودنيـانا غـرور
حـسـبى قليل عطائهـا وقليلهـا أبدًا كـثـيـر
إن عـاد يوم غـد كـأمـ ـس فَدُرْ زمانُ كما تدور

* * *

وعام ثالث !

. . . والثالث الموصول أقـ بل مـرحـبًـا بالثـالث
رَحَّـبْتُ منه بمقـبل إقـبـال لاه عـابث
ما كـان يكرثنا [1] شـقـا قًـا لم يعـد بالكارث

* * *

رضنا الغـرام رياضـة الـ ـفَـرَسِ العـصىّ فـأذعنا
لا جـامـحًـا قلقًـا ولا تَعـبًا يئن من الونى [2]
أَنعم بذلك مـركـبًـا بين العـواثر لينا

* * *

(١) يهمنا ويشغل بالنا .

(٢) الفتور .

مـــا للغــرام يســـومنا بنعــيـــمـــه وشـــقـــائه
إنا لمغـــتنمـــو جـــهنــ ـــمـــه اغـــتنام ســـمـــائه
لسنا على يده يجـــــو د لنا بمحض ســـخـــائه

* * *

مـا شبٌّ من نار طبـخـ ـنا فوقها حلوى الهوى
أو صب من غيث غمسـ ـنا فـيـــه آلام الجـــوى
أو زفٌّ مـن ريح وهـبـنـا ها الشراع كـمـا استوى

* * *

أهـلاً بعـــــام ثالــث يـتـلـوه عـــــــام رابع
بل خامس فيما عهد ت وســـادس أو ســـابع
مـا ضـاقت الدنيـا وفى جنبـــيك قلب واسع

* * *

قلبٌ تفـتح بعـــد مـــا استعصى بباب واحد
أو قُلْ تشـــقق بالجـــر اح فـلـم يـضـق بـالـوارد
مـــا حـيلة الأعـوام فى غِـيـر الزمـان الفـاسـد

* * *

يا قـلب إنـك قـــد أَرد ت فأين ويحك ما تريد؟
عـــام ســـعـــيـــد ! إى ور بك . . . قل إذن عام سعيد
هبك اعــتــزلت ســروره أَتـراه يـنـقـص أو يـزيـد ؟

* * *

بعد سنة

سنة مـــــرت ولا كل السنين

بين صـيف من هوانا وشـتـاء
وربيع كلمـا غـام أضـاء

والضحى والليل حينًا بعد حين

* * *

سنة كـان لهـا نجم فـريد

غـمـر الشـمس وغطى القـمـرا
ومـشى فى حسنه منتصـرا

كلّ برج تحته برج سـعـيد

* * *

إن يكن لى فى سناه رقـبـاء

فـالذى أرصـده لم يرصـدوه
والذى أنشـده لم ينشـدوه

والذى هامـوا به عندى هبـاء

* * *

سنة مـرت على روض الغـرام

أنبـتت فـيـه فنون الشـجـر
من رياحينَ وغـرس مـثـمـر

وسل الأرواح مـا أزكى الطعـام !

* * *

يومـــهـــا الأَول وافـى ودنـا

فـــانس أَيامك فى ســـاعـــاته
واجـــمع الصـــافى من لذاته

جـــرعـــة ، واطرب عليـــهـــا زمنا

* * *

جـرعـة نجمع فـيـهـا سكر عـام

إن شـــربناها فـــقـــد تشـــربنا
أو سكبناها فـــقـــد تسكبنا

فى الهـــوى روحين فى كـــأس وِئام

* * *

هات لى الذكـرى وقـرِّب لى العـيـان

فــهــمـــا يا صـــاحـــبى بين يدىَّ
حـــضـــرا الســـاعـــة يا صاح لدىَّ

ربة الذكـــرى وذكـــراها قِـــران

* * *

هات لى الذكـــرى أراها وترانى

غــضـــة ملمـــوســـة فى راحـــتىَّ
حلوة مـــعـــســـولة فى شـــفـــتىَّ

جــنــة تــنــبــت فــى كــل أوان

* * *

جنتى لا حَـيَّـةٌ تخـرجنى
أبدًا منهـا ولا أَحـيـاؤُها
لا ولا إبليس أو حـواؤها
أَنا فـيهـا خـالد كـالزمن

* * *

أَنا منهـا وهى منى فى الضـمـيـر
فـإذا فـارقـتـهـا بالنظر
لم يفـارقـهـا ضـمـيرى عُـمُـرى
وله العـصـمـة من مس السـعـيـر

* * *

سنة كـان لـهـا نجم فـريد
هات منهـا أيهـا النجم وهات
سنة ثانيـة بل سنوات
ولنا منك مـزيد المسـتـزيد

* * *

أَنت يا نجم مـعـيـد مـا تشـاء
لا السـمـاوات ولا داراتـهـا
غُنْيَـةٌ عنك ولا أوقـاتـهـا
أَنت مـيـقـات وشـمس وسـمـاء

* * *

أنت تدنيــهــا ســمــاء زلفــا [1]

تـنسج الـوقـت لـنـا مـنـفــــردين
لا مـشــاعًــا كنســيج النيــرين

بـل لـنـا طـوع يـديـنـا وكــــفـى

* * *

المرأة والخداع

خلِّ الملام فليس يَثْنيــهــا ، ... حب الخداع طبيعة فيها
هو ســتـرها ، وطلاء زينتـهـا ، ورياضـة للنفس تحـيـيـهـا
وسـلاحـهـا فـيـمـا تكيـد به من يصطفـيـهـا أو يعـاديهـا
وهو انتـقـام الضـعف ينقـذها من طول ذل بات يشـقـيـهـا
أَنت الملوم إذا أردت لـهـــا مـا لم يُرده قـضـاء باريهـا
خنهـا ! ولا تخلص لـهـا أبدًا تخلص إلى أَغلى غـواليـهـا

* * *

رواية

مـا غـرنى إقناعـهـا كـلا ولا إمـتـاعـهـا
مـاذا تخـبـئ طفلةٌ رقت ورق قـنـاعـهـا
بل غـرنى علم الطبـا ع ، وللنفـوس طبـاعـهـا

(١) الزلف : التقدم والتقرب .

أَو ليس علمًا بالحيا ... ة يهون فيه صراعها
إنى أُشاهد كيف يفـ ... ـطم فى القلوب رضاعها
أَو كيف يسرى فى النفو ... س الواعيات خداعها
أَو كيف ينهض بعد طو ... ل سباته دفّاعها [1]
أو كيف يومض بعدما ... خَفَتَ السراجُ شعاعها
دعنى فتلك رواية ... شاقت وشاق سماعها
أَملى الوجيز رقاعها ... إن قيل أَين رقاعها ؟
وأنا العليم ، وقد علمـ ... ـت ، متى يكون وداعها

* * *

لغيرك !

لغيرك غفران تلك الخطايا ... وغض الجفون وستر الخفايا
لغيرك ، لا لك ، صبرى على ... مساوئ يُحسبنَ عندى مزايا
لمن أَرْسَلَتْكِ ، ومن جملتـ ... ـك ، ومن حبُّها كامنٌ فى حشايا
أَلست رسولَ الحياة الأمـ ... ـين بأسنَى الهبات وأغلى الهدايا
فهاتى الرسالة واستغنمى ... ثنائى ، ولا تعجبى من هوايا
إذا الرسل أَفضت بما عندها ... فما حيلتى فى اختلاف الوصايا
سواء لدينا بريد الوجو ... ه ، إذا حسنت ، أو بريد الطوايا

* * *

(١) الدّفاع : قوة الموج وكل مدفوع .

ماذا استفدتُ ؟

برئت من غش نفسي ولا أقول انتبهتُ
قد كنت ساهر عين مستيقظًا ما غفوتُ

* * *

برئت من غش نفسي وليتني ما برئت
ما العمر محض نهار ! في العمر للغمضي وقت

* * *

ها أنت يا عين يقظى وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمري وما عساني استفدت ؟!

* * *

تربصي

إذا احتواك قفصي
سرى الفتور في جنا حيك وإن لم تنقصي
وغرّد الطير وضا عت في الغناء فرصي
وخفت في سجنك ألا ترقصي

* * *

وإن ملكتِ الأفقا

حيّرنى رحب الفضا ء مهبطًا ومُرتَقى
وأَوشك الصدر لفرط الضيق أَلا يخفقا

وطار فى إثرك لبى قلقا

* * *

تربصى . تربصى !

ما حيلتى؟ ما مَهْرَبى ؟ ما مخلصى ؟
الموت قناص الأَبابيل وحلال العصى

يقنصنى ويحك إن لم تنقصى

* * *

فهمان

لما نفست بما أغالى فى هواك وأُطنب
لم تفهمى منى سوى أَن النفائس تُطلَب
وفهمت من نزغات طبعك ، والطبائع تغلب
أَن النفائس كلما عزت ، تراد ، فتوهب !

فرخصت من فرط الغلو وخبتُ فيما أحسب
وخسرت فيك خسارتين ، وخلت أَنى أَكسب

* * *

كيف ؟

تحـفـة من بدائع اللّه تحـمى　　كنزها كفٌ طفلة لا تقـــر
كيف لى بادخاره فى يديها ؟　　كـيف لى باحـتـقاره وهو ذخـر

* * *

مصيبتان

قـالوا اسلُهـا ودع البكاء فـإنهـا　　فى حـبـهـا ليست بذات وفـاء
ومصيبتى فيها اثنتان لأننى　　أَبكى لمن لا يسـتـحق بكائى
من كان يبكى الأوفياء ففى الأسى　　لمن استحق أسـاه بعضُ عـزاء

* * *

ندم !

عشقتك مُكْذبًا خلقى ورأيى　　وعـفْتك صادقًا لهـمـا أَمينا
ومـا أَخطأت فى لَوْميكِ يومًا　　وقد أَخطأت فى عُـذْريكِ حينا

حلم الأبد

أَأَهواك جسماً علا وانفرد　　وفتنة حسنك هذا الجسد
وما فيه من نزوة لا تحد ؟
بُنيةُ كونى كما قد خلقتِ　　فأَنت كما شاءك اللّه أَنت
وما شئتـه أنا حلم الأبد

عيوبك

عيوبك لم أَحفل بها قبل فتنتى   وهيهات يثْنى العيبُ نظرةَ مفتون
فيا بؤس للعشاق لاعلمهم حمى   ولا جـهلهم إذ يجـهلون بمأمـون

* * *

مساومة

مـا حيلتى إن جَهِلَتْ حسنها   فسلَّمت بالبخس للمـشـترى
لو كنت فى جـهلها بعتـها   ببـعض مـا هان على المزدرى
إنى على إغـلائها فى الهـوى   أَرْبَحُ فى الصفقة من منكرى (١)
ليس الذى يَقْـدر مـا ناله   كـمن إذا أُعطِىَ لم يَقْـدُرِ (٢)

* * *

اللذات والويلات

غـدًا تنسين لذاتٍ   بلا عَـدٍّ ولذات
ولا تنسين ويلاتى   ولا زجـرى وإعناتى
فـمـا فى تيك من حـبك بعض الحب فى هاتى
وهيهات الهوى الطاغى   من العـابث هيـهاتِ

* * *

(١) أربح : أى أكثر ربحاً .
(٢) قَدرَ الشىء يَقْدرُه ، أى عرف له قيمته .

عجائب القلب

تلك التي كنت أغليها وأَذكرها صبحاً ومُسْياً وفى سر وإعلان
قد كنت أرحم نفسى من تذكُّرها فاليوم أَرحمها من فرط نسيانى
عجائب القلب ، ويلى من عجائبه! عزت نظائرها فى العالم الفانى

عدنا والتقينا

التقينا
والتقينا !
عجبًا كيف صحونا ذات يوم فالتقينا
بعد ما فرّق قطران وجيشان يدينا
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا (١)

* * *

بعد عصر !
أَى عصر ؟
والنوى تجرى وسر الحب فى الأَكوان يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أَرض مصر
قضى الأَمر كما شاء ، وعدنا فالتقينا

* * *

(١) كان صاحب الديوان قد سافر إلى السودان على أثر هجوم الألمان والطليان على حدود مصر الغربية فى شهر يونية سنة ١٩٤٢ ثم عاد بعد أسابيع لعلاج يديه من حرارة أصابتهما ، فاتفق وصوله قبل يوم الذكرى المشار إليه فى القصيدة .

كم بكيتِ
واشتكيتَ
ثم أُلهمتَ على الغيب فأَصغينا وقلتِ
قلتِ فى السابع والعاشر من شهر سيأتى
ها هنا سوف ترانى ، فرأينا والتقينا

* * *

يوم ذكرى
ذاك أَحرى
بالتقاء كلما دار به الحول وأسرى
فى سماء تعبر الشعرى وتدنى كل شعرى
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

* * *

قبل عام
ثم عام
كان يوم ، أىّ يوم ، فى صفاء وابتسام
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد اللوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

* * *

وتدانى
وكلانا
زائغ الطرف يناجى الأفق قلبًا ولسانًا
ثم ماذا ؟ ثم كن يا بُعْد لى قربا ، فكانا
واستعان الحب بالداء حليفًا فالتقينا

كم غرام
وسقام
عرفا الخلف على غير سلام ووئام
فإذا ما اجتمعا فانتزعانى من مقامى
فبحسبى منهما أنا شكونا فالتقينا

* * *

يا فتاتى
يا حياتى
لا تراعى بعد هذا من فراق أو فوات
قَدَرُ اللّه كفيل لك فى ماض وآت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا

* * *

نذر مقبول

أَرأيت حين نذرتِ ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذى لباك ؟ من ذا أَجاب مناك ؟
قديسة عطفت على المكنون من نجواك
ووعدتها فوفيت

* * *

قديسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا
من ذا يلوم هواك من ذا إذن يلحاك
والعذر عذر صبابتى والحق حق صباك
كذبوا إذن وصدقت

بالشمع كم أغريتها ... أتراك أنت خدعتها ؟
كلا وما أقواك ... فى خدعة وشباك
فالنور لب غذائها ... والنور صفو رضاك

شغفتْ به وشغفت

* * *

من الأستاذ عماد [1]

يا حزين النفس أُعطيت مناها ... فاغنم الفرصة حتى منتهاها
لا تنغصها اختبارًا واكتناها ... إن من خاف من الجن يراها

* * *

النوى آتية لا شك يومًا ... وهى من حولكما لم تأل حوما
هَمُّها ألا يدوم الصفو دومًا ... فعلى رِسْلِكَ لا تُعْجِلْ خطاها

* * *

لا تقلِ يا وردتى شوكك أَينا ... ما علينا منه فيها ، ما علينا ؟
إنها أَخفته عنا فانتهينا ... حسبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

ليس شكٌّ أَن للوردة شوكا ... وإذا أَدنيت كفّاً منه شكّا
فاْحبُكِ القفاز فى كفيك حبكا ... واخلس الوردة واستغرق شذاها

* * *

(١) هو صديقنا الشاعر المجيد : الأستاذ محمود عماد .

أنت فى الجنة أُلقيت يقينا فدع الشك أو استمهله حينا
إنه الشيطان قد أَخفى القرونا إنه الحية فاحذر مِنْ أَذاها

* * *

لا تسلها يوم تأْتى أَين كنتِ ؟ فبحسب العين أَن الحسن يأتى
ذاك وقت فيه يفنى كل وقتَ ساعة دقت ، وغابت عقرباها

* * *

ساعة دقت فأَدت ما عليها فعرفت الوقت لم تنظر إليها
ما الذى تطلبه من عقربيها إن تغيبا خلف ستر قد حماها؟

* * *

قُلْتَ أنساها بأخرى حين تُغْرَى أَترى أخراك لا تطلب أخرى ؟
من يقول الجمر قد يطفئ جمرا اللظى من غيرها مثل لظاها !

* * *

إنها منك دنت فلتدن منها وإذا خانتك من بعد فخنها
أَو فجرِّب هل تطيق الصبر عنها ؟
لا . وشمسِ الحسن فيها ، وضحاها ![1]

* * *

غصْتَ فى اللجة حتى أذنيكا وحزام العوم لم يلق إليكا
رحمة الحسن إذن تَتْرى عليكا رحمة إن شاءها الحسن قضاها

(١) الواو هنا للقسم لا للعطف .

وإذا شــاء فــلا رحــمــة تقــضى ودعا بعضك نحو القاع بعضا
تبــتــغى من تحت هذى الأرض أرضًــا
لا . فــدنيــا الحب لا دنيــا ســواها
محمود عماد

* * *

إلى الأستاذ عماد

يا صــديق النفس من عــهــد صــبــاها
نصحك الصادق لو تُشْفَى ، شَفاها [1]
مــحنةً تبلغ فى يوم مــداها ما ترانى صانعًا ، أو ما تراها ؟

* * *

ناصحى أَنت بزهرى أَنتشيــه لا أُبالى الشوك والغصــة فيــه
كل شــوك يا صــديقى أَتقــيــه يخــرق الدرع وإن دقت عــراها

* * *

وردتى يا صــاحــبى فى الورد بدع! بدعــهــا طبع ، وكل الورد طبع
طبعــهــا كــالفخ ينهــاك ويدعــو وبلاء النــفس فى مسٍّ جناها

* * *

إن تقل فــز بالجنى قلت رويدا الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها!

* * *

(١) أى أن نصحك قمين أن يشفى النفس لو أنها تقبل الشفاء .

وردتی آفتـهـا فـرط الـتحـدی جاوزت فی کل شیء کلَّ حـد
حسنها هیهات منه حسن ورد شوکـهـا أَنفـذ من شـوك سـواها

* * *

أَترانی نافـــعی والقلب دامٍ وسعار الجرح يمشی فی عظامی
لـذة الـعـين بـوشـی ونـظـامَ وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

آه من برئی وآهٍ من ســقـامی آه من صلحی ، وآه من خصامی
آه من شمسی ، وآه من ظلامی آه من لذعـــة آه فی جـــواها

* * *

لذعـة النيـران ينفـثن دخـانًا ليـضیء اللهب الخـافی عيـانا
لهـبًـا صـرفًـا تعـالی وتدانی من قـــرار النفس يرتاد ذراها

* * *

آه من آه لحـــاها اللّه جـــدًا لا تزل خـــالدة فی النار خلدا
من قلوبٍ تتلظی حبًا وحقـدًا حـــرقت آهاتهـــا آهًا فـــآها

* * *

أنا لا أطلقـــهـــا حـــتی تذوبا فی لظاها ، کلما شبت شبـوبا
وأرانی يا صـــديقی لن أَتوبا فـإذا تابت عـرفنا منتـهـاها

* * *

طلاء نفس

زرقة عينيك لا صفاءٌ فيها ، ولكنه فضاء !
حمرة خديك لا حياء ، فيها ، ولكنه اشتهاء !
قوامك الرمح لا اعتدال فيه ، ولكنه اعتداء !
يا حيرة القلب فى هواه ! يا غاية العمر فى مناه
وجهك سبحان من جلاه ولوّث النفس بالطلاء !

* * *

حبك لا نعمة أَراها فيه ، ولكنه جزاء
من فى الصبا جرتْ فى هواها !
من تلك مقبولة الدعاء ؟
أَنت عقابى فهل كفاها برح شقائى أَولا اكتفاء ؟!
يا جنة حسنها عقاب يا خمرة عذبها عذاب
متى متى ينطوى الكتاب ؟
متى فراقٌ بلا لقاء !

* * *

بنيته

بنيته ، والعزم صخرى المتين ومعولى حدُّ العذاب السّنين
اسمعْ . أَلا تسمع هذا الرنين هذا فتات القلب . هذا أَنين
فى كل ركن قطعة من وتين [1]

(١) عرق فى القلب .

بنيتـه فى حفـرة من شـقـاء والدمُ والدمع عليـه طلاء
هناك ، فى زاوية ، فى الخفـاء تم بحـمـد الله ، تم البناء !

مـاذا بقى ؟ لم يبق إلا الدفين !

* * *

بنيتـه . يا حسنه ! يا سناه ! بنيتـه : قبر الهوى فى صباه
قبر الهوى الغالى وواحسرتاه ! قبر الهوى الذاهب فى منتهاه

هل بعد «خمسين» هوى يا حزين؟

* * *

هاتوا الدفين الغض . هاتوا الأمل هاتوه أُدْمى جسـمـه بالقبل
أدميه ؟ لا . لا دم بعد الأجل جفٌ وما جفت عليه المقل

هاتوه أحييه بذكرى السنين

* * *

دفنتـه ، وَيحَكَ ! هل تستريح ؟ يا خارب القلب عمرت الضريح!
ذاك الثرى المنهال . ذاك الصفيح يا ليتـه ركن الخراب الفسيح

أو ليتك الساعة فيه الدفين

* * *

آه من الحـيـرة آهٍ وآه أَنافعٌ قَلْبىَ ، رُجْـعَى هواه ؟
ولو خلا القبر ، أَهذا مناه ؟ . . . لو أقفر الساعة مما حواه

خلت من الحيرة أَنى الغبين

* * *

هنت والله

هوّنتِ خَطْبَك جداً ... وخِلْتُه لن يهونا
حمدًا لكيدِك حمدا ... حمدًا يُفيضُ العيونا
بدّلتِ بالنارِ بردا ... وبالهيامِ سكونا

إنى أَمنتُ الفتونا
وأنت ماذا أمنت ؟
قد هنتِ والله هنتَ !

* * *

كم دارَ فى الكونِ رأسى ... حيرانَ يطوى بقاعَه
شكى يسائلُ حَدْسى ... أَين اختفت منذ ساعة ؟
سفينتى اليوم تُرْسى ... والركبُ يطوى شراعه

غيبى بغير شفاعة
ما أنت ويحك أنت (1)
قد هنت والله هنت

* * *

لو قيلَ «بنتُ الهواء» ... صدّقتُهُم فى المقالِ
ورثيته فى السخاء ... وفى شيوعِ النوالِ
لو كانَ فيكِ بقائى ... لم تخطرى لى ببالِ

من بالهواء يبالى
كونى إذن حيثُ كنتِ
قد هنت والله هنت

(1) « ما » هنا للنفى .

خـذى عـشـيـقين مـثلى   لا بل خـــذى الـنـاسَ طُرا
يـلـقــــاك هـذا بـلـيـلٍ   وذاك يـلـقـــاك ظُهـــرا
إن تـخـــدعـى رَبَّ نـبـلٍ   يـخـــدعْـك نـذلانُ مَـكـرا

وتـشـــربى الجـامَ مُـــرا
حـــتى يُقـــالَ جُننْتِ
قـــد هنت واللّه هَنت

* * *

يا فـــرحـــةَ الـقـلبِ لما   رَخُـــصْت بعـــد غـــلاء
خـــــــرى بـذلك تما   وتمٌّ مـنـكِ نجـــــائـى
ولو حـــســبـتكِ غُنْمــا   لطالِ فـيـك شَـقـــائى

وغُـصٌّ قـلـبـى بـدائـى
لـكـن رحـــمت فـــخنت
وهـــنـت والـلّــه هــنـت

* * *

فراغ . فراغ

فـــراغ بـارد شـــات   بلا مـــاض ولا آت(١)
أأمـــوات ؟ نعـم لكـن   نحـس فـنـاء أمّـــوات
ويا بؤس الفناء نحــســه فى كل مـــيـقـــات

* * *

(١) شات : اسم فاعل من شتا يشتو ، أى دخل فى الشتاء .

في مصر

غيث الصحراء

ألقيت هذه القصيدة بين يدى صاحب الجلالة الملك «فاروق الأول» فى رحلته إلى الصحراء الغربية (١٩٣٨) وكان صاحب الديوان يمثل دائرة الصحراء بمجلس النواب .

* * *

يا حـادى البـشرى دنا السـفـر ... ناد القبـائل حيـثـمـا انتشـروا
فاروق في البيداء يصحبها . . . ... تيـهـوا بنى البيـداء وافتـخـروا
رَفَع الخيـام على السحاب فلا ... أُسُسٌ تطاولهـا ولا جـدر

* * *

فى طالع الأيام مـرتقب ... ولسـابغ الإنعـام مـدّخـر
كـالغـيث لولا سبق أنعـمـه ... والغـيث يلحق بعـده الثـمـر
كـالنيل لولا أن مـوسـمـه ... فى كل يوم حـاضـر نضـر
صَلَحَ الزمـان لكم بمقـدمـه ... وازدانت الأصـال [1] والبكر
فـاستبشروا بالخصب أجمعه ... لا جـدب حـيث النيل والمطر

* * *

أَحببتمـوه على السماع كما ... شـاء الولاء ، وشـاعت السيـر
وتـشـوّف الوادى لـرؤيتـه ... وتسـاءل الركـبـان ، وانتظروا
وتجـاوبت فـيكم مـدائحـه ... نظمـًا رواه البـدو والحضـر
والعرب أَصدق ما سمعت إذا ... غنوا على البـيـداء أو شـعـروا
فـالآن فـاكـتحلوا بطلعـتـه ... وتيـمنوا باليـمن وابتـدروا

---

(١) جمع أصيل ، وهو قبيل وقت الغروب .

مـلـكٌ تـعــــــالى اللّـه بارئـه سـيـان فـيـه الـسـمع والبـصـر
لم يخـتـلف قــول ولا عــمـل منه ، ولا خُـبْــرٌ ولا خَـبَـر

* * *

مـلـك تـعــــــالى اللّـه بارئـه باـلخــــيـــر يـأمـــرنا ويـأتمر
مــسـتـعـصمٌ باللّه مـعـتـزم مـسـتـمـسك بالحق مـقـتـدر
سـبق الـشـبـابُ بـه مـراحلنا وأَعـــــانه الإلـهـــام والـنظر
وتـفــيّـــأت بِلـوائـه عُـصـب وتـأَلـفـت بفـنـائـه زمــــــر (١)
نعم الإمـامـة لَلشـبَـاب فـلا يأس ولا نكـس ولا حـــــذر
جـــيلٌ لزين الجـيـل أسلمـــه رب الكنانة ، فـهـو منتـصـر
العزم والشورى إذا اجـتـمـعا فـهـمـا قـضـاء اللّه والقـدر

* * *

يا مــؤمنًا باللّه مــهــتـــديًا بك مسجد «العوّام» مشـتهر
يا نـسج وحـــدك فى مـــآثره بيــديكَ زينَ القطن والوبر(٢)
يا جاعل الملح الأجاج رَوِىً (٣) بيــديك طَاب الملح والصّــبرٌ
يا شـــافىَ المرضى وكـــافلَهم عيسى على كفيك مستتر
يا حصن مِصْـرَ ويا دعامتـهـا أقـوى الدفاع مِراسُكَ العسر
يا شـــاهدَ التـــاريخ فى أَثر العينُ أنت ، ومــا مـضى أثر
مــا كــان منسـيّــاً فـشـهـرته بك بعـد هذا اليـوم ينتـشـر

(١) أى استظلت برايته جماعات .
(٢) أى أنك زنت القطن والوبر ، كناية عن الوادى والصحراء .
(٣) الروى هو الماء الغزير المروى . ومن المنشآت التى افتتحها صاحب الجلالة فى مرسى مطروح منشأة تصفى ماء البحر من الملح فيصلح للشرب ، والبيت يشير إلى هذه المنشأة ، كما تشير الأبيات الأخرى إلى المعاقل والمساجد ومعامل النسيج التى افتتحها جلالته فى هذه الرحلة ، والآثار التى زارها .

إنى إلى الصحراء ملتفت ... وعلى فم الصحراء منتظر
أصغى فأسمع فى جوانبها ... هزجًا يشيع بها، وينحصر
آلاء فاروقٍ يرددها ... نفر، وينصت حولها نفر
تنمو وتزهر حيث لا شجر ... ينمو، وحيث نما بها الشجر
يهفو النزيل لها وينشدها ... سارون فوق جمالهم سهروا
قوم سماء اللّه فوقهم ... وملوكهم لسمائهم صور
إن يذكروا بالحمد راعيهم ... فهم الرعاة، وهكذا فطروا
هم فى صراحة أرضهم نشأوا ... وعلى هدى لألائها ظهروا
بُلغاء ما عرفوا السطور على ... غير الرمال، وعاش ما سطروا
حرمتهم الأيام فاصطبروا ... ومتى أصابوا نعمة شكروا
فاروق قِبْلَتُهُم إذا رحلوا ... وإليه موئلهم إذا حضروا
يا ملبسًا أجسادهم حللا ... شرَّفت أنفسهم بما ادثروا

* * *

المُلْكُ والآفاقُ والقَمَرُ ... والبحر والبيداء والذِّكَر
أَمَدٌ تفوت العينَ غايته ... وتموج فى أنحائه الفكر
هى رحلة طالت مفاخرها ... ويعد فى أيامها قصر
لو فُرّقت فى الدهر لاتسعت ... لشعابها الأحقاب والعصر
فى ساحة الفاروق يملأُها ... ذخر الحياة، ويحجم الخطر
تنقاد طائرة وسابحة ... ويطيب منها الورد والصدر [1]

* * *

(١) بعض هذه الرحلة تم بالطيارة، وبعضها بالسكة الحديد والباخرة.

تمثال سعد

نظمت تحية لتمثالى زعيم مصر الكبير سعد زغلول عند رفع الستار عنهما بالقاهرة والإسكندرية (٥ أغسطس سنة ١٩٣٨) .

* * *

الروح فى وادى الكنانة حـائم   وجلال شخصك فى النواظر قائم
ما غاب منك سوى مثال عارض   يمضى ، ويخلفـه المثـال الدائم
مَلكٌ البلاد المستقل وشعبها   فى محفليك مساهم ومساهم
أَملٌ لعـمـرك لم تطاوله المنى   شـرفًـا ، وحلم مـا رآه الحـالم
تُزهى به مصر ويزهى الشرق من   كثب ، ويعجب من صداه العالم

* * *

فـاروق مـولده ومـولد نهـضـة   تنمى إليك ، كـلاهمـا مـتـلازم
فـإذا أظلك عـرشـه وجـلاله   فالعدل قسمته ، ونعم القاسم
شِيَمٌ من الخطاب جمّع شملها   العـادل الفطن الكريم الحـازم
مَن غـيـر فـاروق يصـوّر أمـةً   أنت الزعيم لها ، وأنت الخادم
مَن غـيـر فـاروق يبارك نهضة   منه الرجاء لهـا ومنه العـاصم
من غـيـر فـاروق يقلد رتبـةً   والصـولجـان بكفـه والخـاتم
من غـيـر فـاروق يجل رعـيـة   حوليه سـابقُ مجدها والقـادم
من غـيـر فـاروق تنصّ يمينه (١)   علمًا للاستقلال فيه علائم
حـيـاك أو أحـيـا رجـاءك عـاهل   عـهـدُ البـلاد به جـديد باسم
ملك كـمـا ترجـو لمصر مـصـدّق   بشـراك ، مـرتسم لما هو راسم
غـمـر البـلاد بحبـه وولائه   فـولاؤه فـرضٌ عليـهـا لازم

---

(١) تنص : أى ترفع .

ركنان للوطنيــة المثلى همـــا عرشٌ ، وشـعب حـوله يتـزاحم
فـاهنأ بما بُلِّغت من حـبيـهـمـا واغنم ولاءهمـا فـأنت الغـانم

* * *

تمثالَ سـعـد فى الجزيرة سـاهرًا هيهات يغفل منك لحظ صارم
النيل حولك لا يغيب هنيـهـة عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
شأن لربك فى الحياة حكيتـه فـالظل للغـضن الوريف مـوائم
كم صام سعد عن مناهل حوضه ويعبُّ مغتصب وينهل غاشم
كم بات يرعـــاه ، وليس بمُرْتَع من خـيـره ما يرتعيـه الحاكم
كم غاب عنه ولم يغب عن همه والبـحـر دون طريقـه مـتـلاطم
بك زادت الأهرام ركنًا والتقت منهـا على بعـد الزمـان دعـائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها فى الجيـزة الفـيحـاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا يَعْـيـا بنقض بنائهن الهـادم
اليـوم آن لجـانبى تاريخـهـا ألا يظلهـمـا دخـيل داهم
فى الضفة الأخرى بقية عسكر قـاومتـهم جهد المطيق وقاوموا
مصرٌ تضيق ، على اتساع رحابها بكمـا فـأيكما المقيم القـائم ؟
لم تستـقـر على دعـامك آخـرًا إلا لأنك بانتظارك جـــازم
والنصـرُ ردُّك للعـدوِّ مـواليًـا لا أنت راغـمـه ولا هو راغم
سـعـد على النيل الوفى ومثله سعد على البحر القوى متاخم
ما أعجب الصنوين للفرد الذى أَغْـيـا بصنويه المدى المتـقـادم
أمـــجـاورَ الميناء إنك لم تزل ميناء مصر ، والخطوب خضارم
متـمكنًا من حيث يُقْبلُ قادم كَـرمت وفـادته ، ويمنع قـاحم
نعم اختـيـار الموقفين لحـارس وطنًا يحـارب دونه ويســالم

* * *

يا سعد هلا من لسانك قولةً يَرْوَى بها هذا الزحام الهائم ؟
يمناك تومئ بالكلام فأين من إيمائها الصوت القوى الناغم ؟
عجبى لشىء فيه منك ملامح أن ليس يُسمع منه قولٌ حاسم!
عجبى لشىء فيه منك ملامح أن ليس يَخْفُقُ فيه قلب عالم !
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة والصخر بأسًا يتقيه الصادم
وتشابهت ثَمَّ الأسارير التى قد شابهتك بمثلهن ضياغم
وتحجبت تلك الأفانين التى ضاق الصنّاع بها وَعَىَّ الراسم
إن لم تصورها اليدان فربما خفيت فصورها الضمير الراقم
إن لا تحدِّثْنا فكلٌّ محدِّث من فيض روحك ناثر أو ناظم
أو لا يكن لفظ فدون الوحى من معناك - كلّ اللافظين أعاجم
الناس حولك سامع أو ذاكر ما كنت توشك أن تقول ، وفاهم
قف فوق منبرك الجديد فلم يزل لك منبر عالى الذرى وقوائم
يصغى إليه العابرون فيقتدى داع إلى الحسنى ويخجل آثم
هذا المثال الحىُّ إما حامد للعاملين غدًا ، وإما لائم
هذا المثال مؤيِّد من ثابروا مُزْرٍ بمن قَصَروا الخطى وتناوموا
خصم لكل مخالف آراءه وفعاله وهو القوىُّ الخاصم[1]
جدد لهاتيك الرءوس حياتها ، بعض الرءوس وإن حيين جماجم
ما كان تمثالا يماط ستاره بل منسكًا للحج فيه محارم
بل تلك جامعةٌ يَؤُمُّ دروسَها متعلم سنن الحياة وعالم
تلك الرياح مجاذبات غطائه رسل من العرش العلىِّ حوائم[2]
فاروق أو مزجي الرياح كلاهما للغيب ، من خلف الحجاب ، تراجم
والغيب يُلْهِمُهُ المليكُ إذا اتّقى ويَفُضُّ من فحواه ما هو كاتم

(١) الخاصم : الذى يتغلب على خصمه فى الخصومات .
(٢) قبل رفع الستار بأيام جذبته الريح فانكشف ، فتفاءل بذلك الذين أشفقوا من تأخير الاحتفال برفع الستار .

* * *

يا أسبق الأعلام ربك سابق ... فى حيثما استبقت بمصر عظائم
ما قام للفلاح قبل مثاله ... علم ، ولا دُعِيتْ إليه معالم
صعدوا على أكتافه وتسنموا ... أَوج المّنابرِ وهو جاث جاثم
فاليوم يبتدئ الزمان بخلقه ... حتى كأنك أنت فيهم آدم
شرفًا أبا الفلاح ما استفتحت من ... همم ، وما استتلى بعزمك عازم

* * *

لك لا تزال ولن تزال رسالةٌ ... ما للعظائم إن بدأن خواتم

* * *

ثناء على ماهر

ثناء الكرام على ماهر (١) ... ثناءٌ على الرجل القادر
على رجل زاهد فى الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله ... فَيُقْبِلُ فى جحفل زاخر
ومَنْ كلُّ أيامه صالحا ... ت لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرةً فيه للمُحتَفى ... ولا حيرة فيه للشاعر
تجيء مدائحه الصادقا ... ت عَفْوَ البديهة والخاطر
فسيانِ إحصاء أَعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أَرقامه ... حقائقُ للحاسب الحاصر
وآراؤه فى ثنايا غد ... كرؤية عينيه للحاضر

---

(١) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر باشا (يوليو ١٩٣٩) .

وباطنه فى مـواعـيـده   كصفحة عنوانه الظاهر
له شـدة الحق فى بأسه   تمازجها رقة الساحر
وإنصافه مأمن للعدَى   وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه فى قضاء الفرو   ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب   فليس بِوانٍ ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكم يومكم   وطوبى لكم ذُكْرَةُ الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا   بها نهج مبتكر باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا   مدى الحمد من وطن قادر
لكم من بنيه ومن عرشه   معاونة العارف العاذر

* * *

عيد الجهاد
«١٣ نوفمبر ١٩٤٠»

حُيِّيتَ يا عيد الجهادْ   حييت يا يوم المعادْ
يا يومَ مِصْرَ وما لها   من ناصرين ، ولا عتادْ
عزلاء إلا من سلا   حيها : الرجاء والاتحادْ
بهما تصد الظافر   ين ولا تُصَدُّ ولا تُصادْ
وتقود أشتات الصعا   ب ولا يَلينُ لها قيادْ
وتعاند الأسَدَ الهصو   ر ولا يطاق له عنادْ
تلقاه يوم تزلزلت   من بأسه السبع الشداد
والأرض بين يديه طيّـ   ـعة الأعنة والوهاد

* * *

حُــيِّــيتَ يا يومَ الجــهــا د ولا سُــؤالَ بِمَ الجـهــاد ؟
كَــلاًّ . ولا من قــائل أين الجـحـافل والجـيـاد ؟
جــمــعت بلادٌ أمــرها وكــفى بما جــمــعت بلاد
وأراد سـعــد فــانبـرى وطنٌ يحــقق مــا أراد
مــا السـيف فى اليـد غـالبًا إلا إذا غـلـب الفــؤاد (١)

* * *

حــيـيت يا يوم الجــهــادْ يومَ الجـهـود والاجـتـهـاد
يوم الكـرامــة والجِــلاَ دِ بل ، السـلامـة والسـداد
كم عــاقل فى الاقــتِـحــا م وجــاهـل فى الارتـداد
ومــحــصِّل فــيـمــا أضــا ع ، مُضيِّع فيمـا استـفـاد (٢)

* * *

وطنى سلمت من الغُــوَا ةِ ولا سلمت من الرشــاد
مــا فى الجــهــاد غــواية إنَّ الغــواية فى الرقــاد
وطنى خَــذَلْتَ الخــادعـ ـين ولا خَـذَلْتَ ذوى اعـتـقـاد
مـا فى الصـعـاب خـديعـة إن الخـديعـة فى المهــاد
وطنى تبــينت المُصــا رِحَ والمُـداجِـى فـى الـوداد
مـا فى اللهـيب خـبـيـثـة إنَّ الخـبـيـثـة فى الرمـاد
وطنى فــررتَ من الهــوا ن ولا فــررتَ من الجــلاد
مــا كل خطب يُتَّــقـى أو كل أمن يســتــزاد
وطنى . ومــا وطنى علىٌّ بـهــيِّـن بين الـبــلاد
يا لـيـتـــه مما يهـــو ن فـأستـريحَ «على الحيـاد» !

(١) ما هنا تعمل عمل «ليس» وتؤدى معناها .
(٢) أى : كثيراً مايكون الاقتحام من العقل ، والارتداد من الجهل ، والكسب فى الإنفاق والخسارة فى الاكتناز وعدم النفقة .

* * *

حاشا لمصر ولي وللسا … دات فيها والسواد
إني نذرت لها دمي … ومُنىً يضن بها الجواد
وشرعت في ميدانها … قلمي وإن نَفِدَ المداد
وعلمت أن لها غداً … يُرْجَى ، وأمسٍ يستعاد

* * *

شبان مصر تزودوا … لغد ، وبعد غَد ، بزاد
أنتم حماةُ عرينها … ولكم معاقلَها تشاد
إن ذاد غيركم العدا … فرداً فلا كان الذياد
أَوْ سُدْتُمُ في أمة … ذَلَّتْ ففرحتها حداد
من ذا يسود وحوله … وطن على ضيم يساد
لا يَخْجَلَنَّ غدٌ إذا … ما حَلَّ من عيد الجهاد

* * *

إلى مهرجان السودان

يا جيرة المورد في الوادي … كونوا هناكم مورد الصادي
صادٍ إلى الماء وصادٍ إلى … علم لمن يطلبه هاد
هاد كما قد أسفرت شمسكم … بساطع في الجو وقَّاد
لولا معاذيري لَحَيَّاكُمُ … مني مُطيفٌ رائحٌ غاد
فإن أكنْ أوفدت شعري لكم … فذاك عندي خير إيفاد
إلى اللقاء المرتجى في غد … تحيتي للحفل والنادي[1]

(١) هذه الأبيات هي تحية صاحب الديوان إلى مهرجان الأدب الذي يقيمه أدباء السودان مرة في كل عام .

في عالم الذكرى

ثلاث عشرة حجة [1]

مــــرت بنا الأيام وثبـــا   سلمًا كـمـا شـاءت وحـربا
لا أحـــسنت حــربا ، ولا   في السلم طاب السلم غبًا [2]
ضـمنت لجيشـيها معًـا   غَضبًا كما اشتهيا وغَلْبا
فـــإذا الحـــوادث أقـــبلت   أو أدبرت فـــالخلق نُهْـــبَى
العــــام من أعـــوامنا   يحـوى - جزاه الله - حـقْبـا
وثلاث عــشـرة حـجــة   قلبت طبـاق الأرض قَلبـا
سلهــا عن الدنيــا ومــا   صنعت بهـا شـرقًـا وغـربًا
سـلهـــا عن الوادى ومـــا   صنعت به دفـعًـــا وجــذبا
لا ضـــيـــر بالماضى إذا   دار الزمــان فطاب عُـقْـبَى

* * *

فـــألاً من الذكـــرى وكم   فأَلٍ طَوَى في الغيب حُجْبا
وهداية منهــــا وقـــد   تهـديك في الظلمـاء قطبـا [3]

* * *

يا سـعـدُ يَوْمَك فـاسـتـجب   قلبًـــا لمن يدعـــوك قلبـــا
جـــرِّد عـــزيمتك التى   أغنت عن الصمصام غربا [4]
وابعث نصـيحـتك التى   أغنت عن التــرياق طبـــا

---

(١) ألقيت من محطة الإذاعة المصرية في ذكرى وفاة سعد ، سنة ١٩٤٠ .
(٢) الغب العاقبة .
(٣) إشارة إلى نجم القطب الذى يهدى فى الظلام .   (٤) حدا .

وانشـر فـرائدك التى ... أغنت عن العقيان كسبا
هذا نذير الشر هَبَّا ... وإلى حمى مصر اشرأبا
وسرت إلى إفريقيا ... عدوى الجهالة من أوربا
طمعوا بحوزة أُمة ... ظنُّوا لها الغفلات دأبا
إن قيل لا خطرٌ غفت ... عينًا وتاهت عنه لبا
أو قيل لا طمعٌ فلا ... طَمَعٌ وقَرَّتْ مصرُ سربا
أو قيل يا أمُ انهضى ... نهضت وراحت مصر تأبى
تجرى المخاوف حولها ... وتخاله الأمن استتبا

* * *

ياسعد أَنت إمامها ... فاهتف بها ملا وشَعْبا
صَدَعَ الشقاقُ صفوفَها ... وجمعتها بالأمس حزبا
فاجمع جوانب رأيها ... شعْبًا على الحسنى فَشعْبا
قل أَنتمو أَعلى يدًا ... مَن عابدى الإنسان رَهْبى
ذلوا فلما استرسلوا ... تاهوا (١) بقيد الذل عُجبا
وإذا أَتوا عدد الحصى ... فرمالكم أوفى وأَربى
جدب من الصحراء أَغلى من جميم الروض تربا
ظمآن يشرب كل من ... يُغْرى بكم أكلا وشربا

* * *

وقل استعدوا واسلكوا ... فى مفرق الحدَّين دربا
لا تُصغروا هولا ولا ... تستكبروا الأَهوال رعبا

---

(١) تاه يتيه : زها واختال .

وتبينوا أين الفريق ... الحر فاتخذوه صحبا
دارٌ الذين سبتهم ... حرية - هيهات تسبى
بنُّوا بمصر على العدى ... وعلى الذى يحتال خبا
وحذار دعوى معشر ... لم يؤمنوا بالحق ربا
، رحمةً عرفوا ولا ... عرفوا لغير الشر حبا
القدوة العليا لهم ... وحش على العدوان شبا
عقدوا على البغى العرى ... تبت يد الباغى وتبا

* * *

يا آل مصر تذكروا ... سعدًا ففى التذكار قربى
ى استعرت بيانه ... فعلىَّ إن قصرتِ عُتْبَى (1)
إلا اللباب فإننى ... فى الرأى ما أخطأت لبا
سعد إذا أمضى مضى ... وإذا دعاه الهول لبى

* * *

تحية زعيم راحل (2)

اكبرت فى غيب الزعيم محمد ... من كان يكبر حاضرًا فى المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم ... يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص الزمان مجادة ... للسيد بن السيد بن السيد
فخر الصعيد ، وفخر مصر جميعها ... بالرأى ، والخلق القويم الأيد
من يُرْسِلُ المُثْنى عليه ثناءه ... مسترسلا فى القول غير مقيد

(1) معنى البيتين : أنى استعرت بيان سعد ، فإن قصرت فى هذه الاستعارة فالعتب على . أما لباب المعنى فلا تقصير فيه ، لأننى لم أخطئه .
(2) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

جمع القلوب على المديح وإن مضت
نهجين بين مصوّب ومصعّد [1] .

لم تُقض فى هذى الديار قضية ومحمدٌ مما قضوه بمبعد
مِلْءُ النديِّ وإن تطامن دقة كم دقة شحذت مضاء مهنّد

* * *

فى دارة الفلكى قبلة كوكب يعلو على رصد المنايا الرصّد
تطوى المغارب جِرْمَه ، وشعاعُه متألقٌ فى أوْجِهِ لم يخمد [2]
أكبرت مطلعه ، ولم يك طالعى فى كل حين عنده بالأسعد
ورأيته أقصى وأقرب رؤية فإذا البروج لكوكب متوحد
مهما اختلفت حياله لم يختلف سمت السماء ولا علو المقصد
متحرزٌ مما يعاب كأنه متقيِّد المسعى ، ولم يتقيد
شفّت سرائره ، فكل سريرة فيه تضيئك من سراج موقد
فإذا عهدت المحض من عاداته لم تلق يومًا منه ما لم تعهد

* * *

عَزٌ الكنانة فيه فهى فجيعة تبلو الكنانة فى الضمير وفى اليد
ما فى مروءات الشعوب مروءة إلا رعته بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه بين المحافل دون ما لم يُشْهَد
ومعاهد التعليم بين مشجع للعاملين بها ، وبين مزوِّد
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ سردًا ، فعدد ما بدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هدايةً للمهتدين ، وقدوة للمقتدى

---

(١) المصوب : النازل ، وعكسه : المصعد .
(٢) الجِرْم : الجسم ووزنه والأوج : الذروة العليا .

وصراحة الأَخلاق ما اشتملت على
مستغلق فيها ، ولا متأوِّد (١)

والعزة الشماء إلا أَنها ... كالشاهق المخضرِّ لا كالجلمد
وسياسة الوادى ، ولم يك رابحًا ... منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لاتكره الشورى وإن ... كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استفردت ... كالقطب ، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عَزٍّ الكنانة والعزاء ليعرب ... ما بين مُتْهِمِ قومه والمُنْجِد (٢)
كم زاد عنهم والخطوب بمرصد ... والشمل بينَ مشرَّد ومبدد
للحق ، لا لخبيثة مطوية ... تلقى العداة الرابضين بموعد
ولنصرة الإسلام لا لعصابة ... تسعى إلى الإسلام سَعْىَ المفسد
سمح على ما فيه من غصبية ... سهل ، وإن أعيا قُوَى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده ... وعليه تعويل الأخ المتودد
من اكْسُفوردَ ، ولو نماه معشر ... للأزهرِ المعمور لم تَسْتَبْعد
فيه محافظة ، وفيه طرافة ... وأراه فى الحالين غيرَ مقلِّد
ورث الحمية كابرًا عن كابر ... والأريحية منجدًا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما ... سَقَياهُ من أصليه أَعذب مورد
فإذا بكت مصرٌ فغير ملومة ... وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

* * *

رحم الإله محمدًا وأثابه ... فى خلده الباقى ثواب مخلَّد
كان السبيل السرمدىُّ سبيله ... فعليه رضوان الإله السرمد

* * *

(١) معوج . (٢) المتهم : النازل للوادى ، والمنجد : الصاعد إلى الهضبة .

على قبر إبراهيم [1]

« . . . إنا لمحزونون عليك يا إبراهيم ، وإن ما أنا قائل لأيْسر ما يقال فى هذا الموقف الأليم . . .» :

يا قبرَ إبراهيم مالى | بالبيان هنا يَدانْ
بل فيك تنطلق العيو | ن وفيك ينعقد اللسانْ
ما كنت أحسب أننى | ألقاك فى هذا المكان
يا من حملتَ إليه أكر | م ما يعز ، وما يصان
جثمانك العف الطهو | ر وقلبك الجم الحنان
وجبينك السمح الذى | ما هان قط ، ولا أَهان
وعزيمةً لم يثنها | غير الأَمانة من عنان
حزنى عليك أبا خليل | ليس يمحوه الزمان
وجميل ذكرك فى فمى | وجميل صنعك فى الجنان

ماذا أَقول ؟ ومن يعين على رثائك ، أَو يعان

أغناك فضلك ناطقًا | بالصدق عن نطق البيان
فعليك سابغ رحمة | ونعيم خلد راضيان
وسلام ربك عاطرًا | وسلام قومك مجمعان

* * *

(١) ألقيت على قبر السرى الكبير إبراهيم عامر باشا يوم وفاته ، وكان - رحمه الله - مثلا لعلو الهمة ومكارم الأخلاق .

آه من التراب [1]

أين فى المحــفل «مىّ» يا صــحـاب ؟
عــــودتنا ها هنا فــــصل الخطاب
عــرشُــهـــا المنبــر مــرفــوع الجناب
مستجيبٌ حين يُدْعى مستجاب
أَين فى المحــفل «مىّ» يا صـحـاب ؟

* * *

ســـائلوا النخـــبـــة من رهط النّدىّ
أَين مىّ ؟ هل علمـــتم أَين مىّ ؟
الحـــديث الحلو واللحن الشـــجى
والجــبين الحــرّ والوجـــه السنىّ
أَين ولى كـوكـبـــاه ؟ أين غـــاب ؟

* * *

أَسف الـفـن عـلى تـلـك الـفـنـون
حـصـدتهـا ، وهى خضراءُ ، السنون
كلٌّ مـــا ضـــمــتـــه منهن المنون
غـــصصٌ مـــا هان منهـــا لا يهـــون
وجـــراحـــات ، ويأس ، وعـــذاب

* * *

شِــيَمٌ غـــرٌّ رضــيَّـــات عِـــذابْ [2]
وحـــجىٍ ينفــذ بالرأى الصـــواب
وذكـــاءٌ ألمعى كـــالشـــهـــاب

---

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة : مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .
(٢) عِذاب بكسر العين : جمع عذبة .

وجـــمـــال قـــدسى لا يعـــاب
كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

* * *

كل هذا خـــالدٌ فى صَـــفَـــحـــاتِ
عطرات فى رباها مـــثـــمـــراتِ
إن ذوت فى الروض أوراق النبـــاتِ
رفـــرفت أوراقـــهـــا مـــزدهراتِ
وقطفنا من جناها المســـتطاب

* * *

من جناها كلّ حـسن نشـتـهـيـه
مـتـعـة الألبـاب والأرواح فـيـه
سـائغ مُـمَيّـز مِنْ كل شـبـيـه
لم يزل يحـسـبـه مَنْ يجـتـنيـه
مُـفْـرَدَ المنبت مـعـزول السحـاب

* * *

الأقـــاليم التى تُنْمـــيـــه شَـــتَّى
كل نبت يانع ينجب نبـــتـــا
منْ لغـات طوّفت فى الأرض حـتى
لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا
وحـــواها كلهـــا اللب العـــجـــاب

* * *

يا لـذاك اللب من ثروة خـــصْـــبِ
نيّـــرٍ يقـــبس من حس وقَلْبِ

بين مـرعًى من ذوى الألبـاب رحبِ
وَغِنًى فـيـه ، وَجُـودٍ مـسـتـحـبِ
كلمَـا جـاد ازدهى حـسنًا وطاب

* * *

طلعـه الناضـر من شـعـر ونثـر
كـرحـيق النحل فى مطلع فـجـر
قـابل النورَ على شـاطئ نهـر
فله فى العين سـحـر أى سـحـر
وصـدى فى كل نفس وجـواب

* * *

حىٍّ «مـيّـاً» إن مَنْ شـيع مـيـا
منصـفًا حـيـا اللسـان العـربيـا
وجـزى حـواء حـقّـاً سـرمـديا
وجـزى مـيّـاً جـزاء أريحـيـا
للذى أسـدت إلى أم الكتـاب (١)

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذى صاغتـه طبـعًا واكـتسـابا
والذى خـالتـه فى الدنيـا سـرابا
والذى لاقت مـصـابًا فـمـصـابا
من خطوب قـاسـيـات وصـعـاب

* * *

(١) أم الكتاب هى اللغة العربية .

أتُراها بعـــد فـــقـــد الأَبوين
سلمت فى الدهر من شـجـو وبَيْن
وأسًى يظلمــهــا ظلم الحـسين
ينطوى فى الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كــالشــمع المذاب

* * *

أَتراها بعـــد صـــمـت وإباءْ
سلمت مِن حـــسـد أَو من غـبـاءْ
ووداد كل مـــا فـــيـــه رياءْ
وعـــداء كل مـــا فـــيـــه افـتـــراءْ
وسكون كل مـــا فـــيـــه اضطراب

* * *

رحـــمـــة الله على «ميٍّ» خـــصـالا
رحـــمـــة الله على «ميّ» فـــعـــالا
رحـــمـــة الله على «ميّ» جـــمـالا
رحـــمـــة الله على «ميّ» سـجـالا
كلمـا سُـجل فى الطرس كـتـاب

* * *

تلكُم الطلعـــة مـــا زلت أَراها
غـــضـــةً تنشـــر أَلوان حـــلاها
بين آراء أضـــــاءت فى سناها
وفـــروع تتـــهـــادى فى دجـــاها
ثم شـاب الفـرع والأَصل ، وغـاب

* * *

غـــاب والـزهرة تؤتى الثـــمـــراتْ
ثمـــرات من تجـــاريب الحـــيـــاةْ
خـــيـــر مـــا يُؤْتى حـــصـــاد السنواتْ
بعـــثـــرتهن الرياح العـــاصـــفـــاتْ
ورمـــــتـــــهن ترابًا فى خـــراب

* * *

رُدَّ مـــــا عندك يا هذا التـــــراب
كل لـب عـــبـــقـــرى أو شـــبـــاب
فى طواياك اغـــتـــصـــاب وانتـــهـــاب
خلقـــا للشـــمـــس أو شم القـــبـــاب
خُلِقـــا لا لانزواء واحـــتـــجـــاب

* * *

وَيْكَ ! مـــا أَنت برادٌ مـــا لديك
أضـــيـــع الآمـــال مـــا ضـــاع عليك
مـــجـــد «ميّ» غـــيـــر مـــوكـــول إليك
مجد «ميّ» خـالص من قـبـضـتـيك
ولهـــا من فـــضـلهـــا أَلف ثواب

* * *

عام محمد (١)

جَدَّدَ العهد بعد عام محمدٌ   تلك ذكرى على المدى تتجدد
خلقٌ لا يزال قـــدوة جـــيـل   بعد جيل ، أَخلِقْ به أن يخلَّد

(١) أُلقيت فى الذكرى الثانية بعد انقضاء عام لوفاة المغفور له محمد محمود باشا رحمه الله .

بل طراز من المكارم باق كلما عده الكرام تعدد
ومعان غراء هيهات تُحْصَى كثمار الفردوس هيهات تنفد
إنما يُذهب الزمان فقيدًا إن تَقَضَّى الزمان لم يُتفقَّد
ليس يُفنى الزمان مَنْ كُلَّما عسـ ـعس ليل سمعت : أين محمد؟
أين من كان رحمةً وهو بأس أين من كان أمة وهو مفرد
أين من كان للمساكين عونًا وله فى ذؤابة المجد مسند
أين من كان مُنْيَةَ المتمنى فى مغيب من الوداد ومشهد
أين من عُوِّد الإباء صبيًّا ولكل من دهره ما تعود
أين من كلما تقلد امرًا صان فى جيده عرى ما تقلد
أين من كان مرجع القوم فيما صدع العزم أيديا (١) فتبدد
أين من كان قولهم فيه شتى والطوايا فى وصفه تتوحد
أين من كان قائدًا وهو فيما نتقيه جندىٌّ مصر المجند
سألوا أين أين ؟ وهو قريب منهُمُ فى جواره غير مبعد
هو فى كل معهد يتراءى هو فى كل مسمع يتردد
هو فيهم وقد تغيب عامًا لا يُرى قاصدًا ، وإن كان يُقصد
رب دان مجسد لا نراه وبعيد نراه غير مجسد (٢)

* * *

مصر يا أُمة الخلود المشيَّد والوفاء الذى رسا وتوطد
أَنت فى نعمة وخير عميم ما تعهدت خير ما يُتعهد
لك فى الذكريات كنز رجاء أبد الدهر بابه لا يوصد

---

(١) صدعه أيديا : أى حطمه بددا وشتته وبعثره .
(٢) رب قريب ملموس لا يرى لتفاهته ، ورب بعيد غير محسوس نراه للحاجة إليه ولأهميته .

فـاذكـرى الـغـابرين وادخـريهم   لغــرار ينضى وعــزم يشــدد
إنهم مــهــدوا الطريق ولولا   خطوهم فـيه لم يكن بالممهـد
اذكــرى كلمـا بلغت زهيــدا   من أمــانيك أنه كــان أزهد
واذكـرى كلمـا بلغت عظيـمـا   أن جهد المصرى فى المجد أجهد
إن مـا ضـاء كان بالأمس ظلمـا   ء وما ابيض كان بالأمس أسود
والذى فى يديك كــان سـرابا   زمنًا ثم صـار يُجنى ويحـصـد
وارقــبى العــالم المطل علينا   من غــد . إنه جنين ســيــولد
الحـــروب التى تضج وغــاها   هى نجوى مخـاضـة تتصـعـد
إننـا فى يـديه لـعـــبـــة لاه   إن جحدناه أو حسبناه يُجحد
مـا مـضى من زمـاننا أو سيأتى   فى يدى ذلك الجنين سيحشد
الجنين الموعــود لا تجــهلوه   يا بنى مصر فهو للجهل مُرصد
هو حى ، إن لم يكن قد تسمّى   باسـمـه فى قـرابه فكأنْ قدْ (١)

فـاجـمـعـوا عُـدَّةً من الأمس تُرْضَى
واجـمـعـوا عُـدَّة من الغـد تُحْـمَـد

أنـتـم فـى كـنـانـة الله أهـل   أن تصدوا السهام وهى تسدد
ولكم من صـيـانة الله شـروى   مـا تصـونون من فـخار وسؤدد
كل حق لكم فـغـيـر مـضـاع   مـا رعيتم حقاً لمثل محـمـد

* * *

(١) «كأنْ قد» تعبير معناه أن الأمر كأنما كان وتم .

الشهيد معاوية

. . . احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السودانى النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصبًا من سقامه وعوجل - رحمه الله - فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوّض الله الأدب فيه خير العوض ، وعزى الأدباء أحسن العزاء :

أَجل هذه ذكرى الشهيدِ معاوية
فيا لكِ من ذكرَى على النفسِ قاسية

أجل هذه ذكراهُ لا يومُ عُرْسِه ... ولا يومُ تكريم ، ودنياهُ باقية
فما أقصرَ الدنيا التى طوّل الضنى ... أصائلَه فيها ، وأشقَى لياليه
وما أضيعَ الآمالَ آمالَ من رأوْا ... مطالعَه فى مشرق النورِ عالية
ومن أيقنوا أن الهلالَ الذى بدا ... علىَ الأفق أحرى أن يعمَّ نواحيه
بكائى عليه من فؤاد مفجّع ... ومن مقلة ما شوهدَتْ قطُّ باكية
بكائى على ذاكَ الشبابِ الّذى ذوى ... وأغصانُه تَخْتالُ فىَ الروضِ نامية
بكائى على ما أثمرتْ وهْى غضةٌ ... وما وعدتنا ، وهىَ فى الغيبِ ماضية
فضائلُ منها نخبةٌ أزهرتْ لنا ... لِمامًا ، وأخرى لم تَزلْ فيه خافية

* * *

تبينتُ فيه الخلدَ يوم رأيتُه ... وما بان لى أن المنيةَ آتية
وما بانَ لى أنى أطالع سيرةً ... خَواتيمُها من بدئها جِدُّ دانية
وأن اسمه الموعودَ فى كل مقول ... سيسمَعُه الناعونَ من فم ناعية
أجل هذه ذكراهُ يا نفس فاذكرى ... فجيعتنا فيه ، وما أنت ناسية

أجلِ هذه ذكراه يا عين فاذرفى عليه شآبيبَ[1] المدامع دامية

إذا قَصـرت أيامُ من نرتجيهم
فيا طولَ حزنِ النفسِ والنفسُ راجية

ويا طولَ حزنِ النفس وهى منيبةٌ
إلى اليأس من عجزٍ بها ، وهْى آبية

فيا يومَ ذكراهُ سنلقاكَ كلما رجعتَ إلينا ، والضمائرُ صاغية

ويا عارفيه لا تضِنوا بذكره
ففى الذكر رُجعى من يد الموت ناجية

أَعيروه بالتّذكار ما ضنَّ دهرهُ به عيشةً فى مُقبلِ العمرِ راضية

وزيدوا النفيسَ النزرَ من ثمراته بتكرارها فى القلب أُولى وثانية

فإن لم تكن فى العد كُثْرًا فباركوا معانيَها حُبًّا ، ووفّوا معانيَه

عليه سلامٌ لا يزالُ يعيدُه ويبديهِ شادٍ فى الديار وشادية

* * *

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر[2] ويح البيان على المبين الساحر

الباحث المنطيق فى تاريخه ، الملبس الماضى لباس الحاضر

الناقد الأنباءَ نقد صيارف ، الوازنِ الآراءَ وزن جواهر

المستعين على السياسة بالحجى والعلم ، والقلم القوى القاهر

والحجة العليا التى ما طأطأت يومًا لمنتقم ولا لمناظر

الدارس الأيامَ درس مجرب يلقاه باطن سرها كالظاهر

(١) جمع شؤبوب ، وهو دفعة المطر .

(٢) هو فقيد الكتابة والصحافة ، المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، صاحب «البلاغ» .

الصابر المزجى الخطوبَ بصبره حتى يَزُلْنَ ، ونِعْم أجرُ الصابر
البـاذلِ الدنيـا علىٍ علم بهـا فى اليسر والإعسار ، بذل مسافر
المستعزَ بوحدة الأسد الذى يأبى التجمع فى القطيع النافر
الراسخ الجم الوقار ، بغير ما عنت يصيب ملالة من زائر
الصامت النزر الكلام بغير ما حَصَر يعيب ، ولا كَلالةِ خاطر
الوادع السهل الطباع بغير ما سَلَس لِباغ ، أو مهابة آمر
الصاحب المبقى علىَ أصحابه ما بيْن واف منهم أو غادر
الوالد البر الرفيق بِوُلْدِهِ وبآله رِفْقَ العليم الشاعر
الثائر الوطنى فى ميدانه عجبى له من مستقر ثائر
الصارم الماضى السلاح وعنده بعد ارتداد السيف عتبى عاذر
عرف الحقائق فاستراح جنانه من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره بغضًا لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده علم على بعد ، وعلم معاشر
كم مرَّ من يوم ضحوك بيننا أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معًا على علاتها متلاحقين مع الشبابِ الباكر
وجرى يراعانا [1] معاً فى حلبة عزت على غير الطِمِرِ الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا نعم العتاد لذاكر ولعابر
ذكرى القشيب من الشباب تزينها ذكرى المشيب من الجهاد الظافر
عهدان من عمْرين لو نُسجا معًا لم تدر أَيهما مكان الآخر

* * *

(١) أى : قلمانا .

يا يوم منعـاه سـبـقت بنذر في الصدر من وحي الهواجس صادر
يومٌ لمست النحس قبل صباحه وطويت فيه عل الهموم ضمائري
ومشى النهار إليّ منقبض الضحى كالليل ، مشية مستكين عاثر
حُيرت فيه فحين زالت حيرتي زالت بأَفـدح من ظنون الحـائر
بذهاب نابغـة ومصرع غـالب وختـام عـهد بالعظائم عـامر
وفجيعة لا كالفجائع في أخ وزمـيـل أَقـلام وصنو منابر
تمضي السنون وفي الصحائف صفحة
تبـيض فـخـرًا ، وافـتـقـاد مـحـابر
ما كان خط مداده في طرسها إلا بياض جبينها المتباشر
أَسفى عليها وهي لابسةٌ له ثوب الحداد من البياض الشاغر
وعـــزيزةٌ للنابغين نظائر في الشرق تتلى بعدهم بنظائر
فإذا بكى الباكي عليه فإنما يُذْرِي الدموع على عزيز نادر
وإذا جزيناه الوفاء فبعض ما وفّى الحقوق لحاضر ولغابر
إن الذي حفظ العصور بذكره حقٌّ له ذكرى الثناء العطار
وتراث عبد القادر الباقي لنا فيه «البلاغ» لقارئ ولذاكر

* * *

هنا وهناك

تفسير حلم

مهداة إلى صحيفة النيل الغراء بالخرطوم

تفسير حلمى بالجزيرة [1] ... وقـفـتى فى المقـرن
حلمـان حظهـمـا خيـا ... لا دون حـظ الأعـين
مـا دمت بينهـا فـمـا ... أنا سـائلٌ عن مـسكنى
وإذا التـذكـر عـاد بى ... عطف الجـديد فـردّنى
يا جـيـرة «النيل» المبا ... رك : كلٌّ نيل مـوطنى
وله سـمىٌّ فى الصحـا ... فـة مـعـرب لم يلحن [2]
حـييت فـيـه سـميَّهُ ... وحـمـدت فـيـه مـأمنى

* * *

صوت السودان

صوت [3] من السودان أسـ ... ـمعنى بمصر فسـرّنى
تهـفـو له الأسـمـاع صـا ... غـيـةً ولم يسـتـأذن
فـيـه بشـاشـة وامق ... ومـبـشّـرٍ ومـؤمّن
لولا حـفـاوته الكريمة مـا علمت بأننى [4]

(١) إشارة إلى جزيرة مصر المشهورة ، والمقرن هو حديقة بالخرطوم فى موضع الاقتران بين النيلين .
(٢) السمى هو من يحمل الاسم نفسه ، ويقصد أن لنهر النيل سميا فى الصحافة هو صحيفة النيل .
(٣) إشارة إلى صحيفة «صوت السودان» الغراء من أكبر صحف الخرطوم .
(٤) هذا الوصل لا يرضاه العروضيون ، ولا نجرى على مذهبهم فيه .

فـارقت من مـصـر الجـديدة ذات يوم مـسكنى

شكراً لـه صـوتا تَبـ ـين من لـســان بيّن
مـسـتلهم لغــة القلو ب مـتــرجم بالأعين
شـمل العـروبة كلهـا وسـرى إلىّ فـخـصنى
مـاذا أَقـول وقـد سُبـقـ ـت بكل قــول ممكن
قِـدَم العـهـودِ أَحَبُّ لى من بدعــة المتــفنن
مَن كـان ديدنه الصنا عـة فـالسليـقـة ديدنى

* * *

شعر الأسود

كم هازلٍ بالشـعـر جـهـده
يهــذى بـه ويعـاف جـده
ما الشعر للنسناس وحده
كم ألـهم التـبـيـان أُسـده

* * *

القمر والظلام

لا أوثر القـمـراء فى حـسنهـا على الدجى ، والطرف فيه يحوم
سناك يا بـدر يرينى الثــرى وظلمــة الليل ترينى النجـوم

* * *

صداح الأثير [1]

مــلأَ الآفــاق صــداح الأَثيــر   لا فضاءَ اليومَ . بل صوتٌ وَنورْ
لك من كل فــضــاءٍ شــاسع   حــيــثــمــا يممتَ ، داع وبَشــيــرْ
مـا صـفـاء الجـو إن فـتـشـتـه   غــيــر أَصــداء حــوالَيك تمور
لَجَبٌ لكنَّهُ مــــســـتـــأْذنٌ   يطرق الســمع بسلطان قــدير
أَو هى الأرواح إن قلت احــضــرى
حــضــرت ، أو شــئت أَعــيــاها الحضــور
قــيل أَمــواج . فــقلنا وبحــور   من مــعــان وبيــان وشــعــور
تركــب الأَلبــابُ فــيــهــا ســفنًا   ســبَّــقــا بين طويل وقــصــيــر
حـــملت من كل زاد ، وقَــرَتْ   كل غــاد ، ووعت كل أثيــر [2]
ولـهـــــا فى كل يوم مــــدد   يلتــقى الأول فــيــه والأخــيــر

* * *

كـــان فــرعــون له مــجلســه   وهو ذو الصــرح المعلّي والسرير
ولـنـا فـى كـل دار مـــجلس   يسع الـعـــــالَـم أيان يـدور
هو ناد لـك ، أو مـــدرســـة   أو مجال السبق ، أو ملهى السرور
غـلـب الـوهَـم الـذى زينـه   فى الأسـاطير خيـالٌ مستطير
دعــوة المارد إن قــيــست إلى   دعـــوة المذياع ظن وغـــرور
بورك الـعلم لعـــمـــرى إنه   من صــفــات الله ، والله قــدير
ربما أَســــمــعنا فى غـــده   نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

(١) اقترحت محطة الإذاعة المصرية موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(٢) الأثير هنا بمعنى المأثور ، وهو المفضل المنتقى .

مُسْمعَ العالم فى عاصمة	تسبح الدنيا إليها وتطير
لا يَقرُّ الدهر إن مادت فإن	سكنت فالدهر حوليها قرير
بنيت حينًا على البأس وما	رصدته اليوم إلا لمغير
جمعت أوصالها حريةٌ	يستوى فيها قليل وكثير
وخصيم الأمس من أَعدائها	هو فى معمعة اليوم نصير
كلهم ، والأمر شورى بينهم ،	مستجير فى حماه ومجير

* * *

عامك الثالث أَم شرخ الصبا ؟	أنت فى مهدك جبار جسور
لستَ بالحَبْو خبيراً إنما	أنت بالوثب على الأفق خبير
راكبُ الريح إذا قيس إلى	خطوك الوانى سلحفاة كسير
حدّث الدنيا حديث الضاد من	ساحة رتّل فيها شِكْسبير
وأَعِدْهُ ساريًا حيث سرى	زمنًا فى مغرب الشمس المنير
طالما رنت على آفاقه	نغمات من نظيم ونثير
من رُبا أَندلس حينًا ومن	قمم الأَطلس حينًا والثغور
هاتها فى نسق موصولة	يلتقى «بيرون» فيها وجرير (١)

* * *

ناقل السر وما أعجبه	فى رحاب الكون من سر جهير
تسمع القطبين ضدين كما	يسمع النجوى سميرٌ من سمير
عصب الأَنساب يا هذا الأثير
أنت فى الأرض ، وفى الكون الكبير
كلنا فى رحبه عائلة	حين تسرى أَنت أو حين تسير

(١) هو الشاعر الإنجليزى الشهير اللورد بيرون . وجرير بن عطية الشاعر : الأموى الشهير .

تنظم القـربى على طول المدى من ذرى الشعرى إلى قاع البحور
عـجـبى من عـالم تجـمـعـه أذنٌ - كم فـيـه من قلب نفور !
قل حديث الحرب والسلم معًا رب حـرب هى للسلم عـبـور
أنت بالصـدق كـفـيل أن ترى أمم الأرض إلى الحق تصـيـر
يملك اللبَّ حليـفًـا راضـيًـا مَنْ له فى دولة السمع سفـير

* * *

إلى «المستمع العربى» بلندن (١)

دعوت إلى حق وأسمعت واعيًا فُحيِّيتَ مدعوا ، وحييت داعيا
وآثرت للعرب اللسان الذى به تنزَّل وحي الله للعـرب هاديا
وناديتهم من جانب الغرب مثلهم فتى عربيًا واضح الصوت عاليا
أصاخوا فلم يستنكروا القول عجمة
ولم يسـمـعـوا منه لسـانًا مـداجـيـا
إذا الحر ناجَى الحر فَلْيُلْقِ قوله صريحاً ، ولا يومئ إليه مواريا
على ذاك يمضى «اللندنى» محدثا فيصغى إليه «القاهرى» مواليًا
ويصغى ابن بغداد إليه محدثًا وينقل عنه شعب مكة راويا
وفى جلق (٢) واع ، وفى القدس شاخص
وفى برقـة شـاد يجـاوب شـاديا
حقائق فى شرق البلاد وغربها يساجِل فيها الحاضرون البواديا (٣)
يؤلف شـمـليـهم على البـعـد أنهم
أبَوْا أن يطيـعـوا فى سـوى الحق راعـيـا

(١) اذيعت فى مطلع العام الثانى لمجلة «المستمع العربى» التى تصدرها محطة الإذاعة العربية بالعاصمة الإنجليزية .
(٢) اسم من أسماء دمشق . (٣) الحاضرون هم سكان الحواضر .

وأنهـمُ لـلـظالمين بمرصـــــد طغاةً على من يحكم الناس طاغيا
وأَن الذى أَوصى به الشرق بادئًا تواصى به الأحرار فى الغرب تاليا
فيا لـكِ من حرية جمعتهما إلى نسب عـال عليـه تَلاقـيـا
وما عصبة الأحرار إلا أخوّة إذا اشترك القطبان فيها تآخَيا
فلا جاور الشرق امرؤ يصطفى له عـدوًّا لآمال الشعوب معاديا
ولا زال هذا الشرق بالحق آمرًا ولا زال هذا الشرق بالحق ناهيا

* * *

إلى «مسمع العربِ» الكرام تحية أُحيى بها عامًا من العمر ثانيا
أَرى لك فى سن الفطام شبيبة تسابق فى العام القرون الخواليا
وأَلمح من بشـراك طالع مـولد تلاقيـه أَبراج السـعود حوانيـا
سبقتَ ركاب النصر حتى كأَنما خففت لتلقاه على القرب آتيا
وأتممت حولا واحدًا فتحوّلت مخاوف أقوام فلاحت أَمانيا [1]
فإن شئت كن فألا ، وإن شئت هاتفًا
إذا أَسْـمَعَ الضليلَ أَقـبل ناجـيـا
تبلبلت الأَسماع حينًا ، وأَطبقت صروف قضاء ظنه القوم قاضيا
وهيهات ما كان الرجاء مغيَّبًا لمن رامه ، كلا ولا الأمر خافيا
يقينى الذى لم يطرق الشك سمعه سحابةَ يوم أن للحق واقـيا [2]
وأَن الذى خالوه صرعةَ هالك نذيرٌ إذا ما اشتد أيقظ غـافيا
وقد هجر الغافى المضاجع فانظروا على الساهر الجهد المكتم باديا
توثب للعدوان فليمضِ واثبًا على غـرةٍ منه لينقضَّ هاويا

(١) اتفق فى إبان الاحتفال بعام المجلة الثانى أن تحولت كفة النصر إلى جانب الدول الديمقراطية .
(٢) كانت أحاديث العقاد دواما تبشر المحور النازى بالهزيمة ، حتى وهو فى أوج انتصاراته .

* * *

إلى مسمع العرب الكرام نبوءتى فسلنى غدًا عنها ، وما أنت ناسيا
سيدْبر شر كان بالأَمس مقبلا ويقبل خير كان بالأَمس نائيا
ويصعد نجم العرب فى الشرق ساطعًا
ونجم حليف العرب فى الغرب ساطيا
كفيلى بما أَنبأت صدق رويَّة ترى الغد من مستقبل الدهر ماضيا
فلا انخدعت ، والحمد لله ، ضلةً ولا خدعت يومًا وفيّاً موافيا
غدًا ، فانتظرنى باليقين إلى غد وهاك التحايا قبله والتهانيا

* * *

بين التعب والراحة

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد

ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أَعجب إلا من راغب فى ازدياد !
ما ابتغاء المزيد من يوم أمنٍ عاطل لا يزاد بالتعداد
فالزمان المريح تكرار شىءٍ واحد واطّراد حال معاد

* * *

هذا هو التاريخ

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحى
هذا هو التاريخ لو أننى صورته يومًا على المسرح !

* * *

النقد

أعطيتهم لؤلؤاً حراً فحين رأوا ... صغيرةً منه صاحوا : أى إفلاس !
وجادهم بالحصى غيرى فحين رأوا ... خُريزةً فيه قالوا : أكرم الناس

* * *

الظن

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا
وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هَبْهم ألفَ عين ، وإن تشأ
فدعهم بلا عين تراك ولا أُذن

* * *

رأى الناس

من عوّد الناس خيرًا طالبوه به ... كأنه الدَّين يُلوى بالمعاذير
ومن تعقّبهم شراً فأمهلهم ... يومًا تقبّل منهم أجر مشكور
لا رأى للناس فى نفع ولا ضرر ... وما لهم قط من حكم وتقدير

* * *

بين همّ وسآمة

أَتهتم بالدنيا ؟ فتلك حبيبة ... إليك فما تخليك يومًا من الهم
أَليس لها هَمٌّ ؟ فهاتيك خلة (١) ... صداقتها أَضنى من الهم للجسم
وما بين هم دائم أو سآمة ... خيار لمختار وحكم لذى حكم
فخذها على علاتها والق عيشها ... شقياً بعلم ، أو شقياً بلا علم

(١) الخلة هى الخليلة والصديقة .

الطيش والحزم

الطيش أن تعمل ما تشتهى .. وقد يساوى النفعَ فيه الضرر
والحزم أن تحذر ما تتقى وقلما يغنيك فيه الحذر
كُفؤَانِ إن وازنت حظيهما ...
يا صاح . فاختر منهما ما حضر !

* * *

يا كتبى

فى ختام الجزء الأول من الأجزاء الأربعة المجموعة فى مجلد واحد قصيدة بهذا العنوان ، جاء منها هذه الأبيات :

يا كتبى أشكوا ولا أَغضب ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتبى أورثتنى حسرة هيهات لا تُنْسى ولا تذهب
يا كتبى أَلبست جلدى الضنى لم يغن عنى جلدك المُذْهَبُ
كم ليلةٍ سوداءَ قضيتُها سهرانَ حتى أدبر الكوكب
كأننىَ ألمح تحت الدجى جماجم للوتى بدت تخطب (١)
والناس إما غارق فى الكرى أو غارقٌ فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله بيومه الماضى وما يُعْقبُ
ينتفع المرء بما يقتنى وأنت لا جدوَى ولا مأْرَب
إلا الأحاديث وإلا المنى وخبرةٌ صاحبها متعبُ

* * *

(١) الكتب فى الغالب موتى يتكلمون ، فإذا قرأت فيها فكأنك تصغى إلى جماجم تتكلم .

وختمت القصيدة بهذا البيت :

لا رحم الرحمن فيمن مضى ... من علم العالم أن يكتبوا

* * *

والقصيدة الجديدة فى هذا الديوان تشير إلى تلك الأبيات بما ورد فيها من المقابلة ، وهذه هى :

شكوتها والعمر فى فجره ... فكيف بى لما دنا المغرب ؟
لما دنا المغرب صاحتها . . . ... تلك التى تُشْكى ولا تغضب
تلك التى قلت لها مرة ... والقلب دام والحشا ملهب
«يا كتبى أورثتنى حسرة ... هيهات لا تنسى ولا تذهب»
«ياكتبى ألبست جلدى الضنى ... لم يغن عنى جلدك المذهب»
فالآن يا كُتْبى تعالىْ لمن ... أخبثُ شىء عنده طيب
ما أنت شر من عناء المنى ... وهى التى فى صدقها تكذب
ما أنت أقسى من شقاء الهوى ... وهو الذى فى لهوه يتعب
ما أنت أغلى ثمنًا ، إن غلا ... من جوهر يكنز أو يعطب
ما أنت فى سكر وفى متعة ... أَحْلى من السم الذى يشرب
ويحك ! إنا نحن من معشر ... يسبق فينا «الدور» أو يعقب
غدًا سنمسى كلنا ما لنا ... فى العيش إلا رَفُّك المُتربُ
فليت لى إذ أنا تحت الثرى ... جمجمة ثرثارة تخطب
رهطاً من القراء يرضوننى ... رضاى عن بلواك إذ أغضب
يا كتبى ما شئت فلتحسبى ... أو شاء قرائى فليحسبوا

* * *

عجز أو قدرة

علمينى كيف لم تضطربى بين أَسماء الأَقاصى والأَدانى
أَنا لو لاقيت أُخرى مرة
خفت أن يخلط باسمين لسانى
الغوانى فى حجاب دائم . . . عبث كل سفور للغوانى
قدرة فيهن أَم عجز طغى أَم هما فى لحظة مجتمعان ؟
من فناء الغيد فى حاضرها نَسْيُها مَنْ غاب عنها كلَّ آن

جواب جميل

قال جميل ابن معمر صاحب بثينة :

ألا أيها النوام ويحكُمُ هُبُّوا أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحبُّ ؟

وأجيب بلسان أَحد النوام :

بربك دعنا راقدين فلو درى بنا الحب لم يرقد لنا أَبدًا جنب
وسل راقدى الأجداث (١) عنه فإنهم
مجيبوك عن علم بمن قتل الحب !

* * *

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

---

(١) الأجداث هى القبور .

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مـــزعج الموتى فلو كنت قـــادرًا
على أن تَهُبَّ اليـوم من صـرعـة هبـوا

ولستَ إلى أن يُسـمَعَ الصورُ سـامـعًـا
هنا سـر مـقـتـول يبـوح به صنب !

* * *

الفقير

ثروة المرء بما يطلبـــــه لا بما يملكه بين يديه
مالك الأرض فقيرٌ إن رعى مطلبًا يطمح بالعين إليه
والذى أَفــقــر منه طالبٌ وُدَّ قلبٍ مـــا له وُدٌّ لديه

* * *

ويلنا

من غـلا عنده السرور رخيص كاسد السوق فى كبار الأمور
والذى يستـحق كل سـرور عـجـبًا يزدرى بكل سـرور !
إن غـلا عندنا النعيم رخصنا ويلنا ويلنا بدار الغـــرور

* * *

سيان

إن قـــيل بالحق أو البـــهـــتـــان
دعـــهم يقـــولون ، وقل سـيـــان !
سـيـان مـهـمـا افـتـرق الضـدان
سـيـان مـهـمـا اختلف الخـصـمـان

سيان أَلفٌ هي أو أَلفان
سيان بيدٌ هي أو مغان (١)
سيان نور أو ظلام فان
سيان من يلهو ومن يعاني
قلها ببرهان ولا برهان
وأَنت أنت أَحكم الزمان
وإن تَصَدّوْا لك بالنكران
أو ضحكوا سخرًا فقل سيان !

* * *

أتمنى

أتمنى يومًا لو أن حياتي ... تنقضي كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمني ... لو تعلمت كيف أَن أتمنى
أَتمنى لو علمتني الليالي ... باطل الأَمر قبل أن أَتمنى
منية لو تحققت لتساوى ... ما تملكته وما أَتمنى

* * *

الصِّرفُ والمزيج

رب ما بالنا نغصُ بأَحلى ... ما شربنا وفيم يا رب يحلو ؟
رب والعيشُ فيه حلو ومرٌّ ... لم لا يمحضان والأَمر سهل؟
لم لا يصفوان فالشّهد شَهد ... حين يعطى العبادَ والخلُّ خَلُّ
إنَّ خلاً يشوب شهدًا ضلال ... ولشهدٌ يشوبُ خَلاً أَضل !

---

(١) البيد : الصحارى والمغانى : الحدائق .

خداع النفس

يقول وما قضى عجبًا فتى يخبط فى حدسه
أيخدع نفسه رجل له عينان فى رأسه ؟
أجل يا صاح : عينان ! وزد ما شئت من حسه
وهل أخدع للإنسا ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود وقاك الله من دسه

كيمياء وصيرفى

قال ابن الرومى :

إن للحظ كيمياءَ إذا ما مس كلبًا أحاله إنسانا

ولم يقل :

إن للحظ صيرفيّاً أريبًا يقتفى كِيمياءَهُ أحيانا

* * *

جنة الخيام

رغيفُ خبزٍ ووجبةٌ حلوٌ، وكأس مدام
وتلك جنة عدنٍ فى مذهب الخيام [1]

* * *

قالوا : ونودى يومًا ما تشتهى فى يديكا
دع مطلبًا منه فردًا والباقيان لديكا

1) عمر الخيام : الشاعر الفيلسوف الفارسى ، وله رباعية بهذا المعنى .

فحار بين رغيف إن فاته مات جوعا
وبين وجه منير إن غاب غابت جميعا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداع مناها أفاق وهو غبين

* * *

طال التردّد فيها فمال عنها كظيما :
سألت جنة خلد وما سألت جحيما

* * *

قالوا فناداه صوت يقول فى غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق :

* * *

«أتلك جنة خلد تهذى بها يا حكيم
بمطلب إن عداها ترتدّ وهى جحيم ؟»

* * *

بيجو

« . . . صور كثيرة بقيت في خلدى من الإسكندرية كأنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ .

وستبقى ما قدر لها البقاء .

وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء ، وذلك هو صديقى «بيجو» الذى فقدناه هناك .

وإنى لأدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى ألصق بها الناس ما ألصقوا من مسبة وهوان ، فإن الناس قد أثبتوا فى تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك بصناعة التحقير . . فكم من مبجّل بينهم ولا حقّ له فى أكثر من العصا . وكم من محقّر بينهم ولا ظلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار .

وكنت أقدر أننى سأخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة أشهر الصيف الجديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى مرسى مطروح ، أو فى السلوم ، وأفرغ هناك لتأليف كتابى الذى جمعت له ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين والمحدثين . فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضى أيامًا فى القاهرة وأيامًا فى الإسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ، ولا عزمت على اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامى فى

القاهرة وأن أعود إليه كل أسبوع . ولكنَّ المخلوق الأمين الوفى أرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الإسكندرية وكلما رجعت منها . لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة الثانية . وزاده إصرارًا على الصيام أننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ أحمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى «فى عالم السدود والقيود» .

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يكثر الصلاة والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يَقْرَبُها إلا على مسافة أشبار . وبيجو مخلوق حساس مفرط الإحساس ، ما هو إلا أن تبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى ، فكنا إذا تعمدنا تخويفه وزجره نادينا : «يا شيخ أحمد» ! فإذا بيجو تحت أقرب كرسى أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أن الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد .

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام فى غيابنا أصبح بيجو من ركاب السكة الحديد المعروفين فى الذهاب والإياب . وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الإسكندرية ومن الإسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع . وشاعت له نوادر فى معاكسته للموظفين ومعاكسة الموظفين له يتألف منها تاريخ وجيز . ثم أصابه فى الإسكندرية ذلك المرض الأليم الذى كان فاشيًا فيها واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة عليه من مشقة السفر وعلمت أن الأمل فى شفائه ضعيف ، ولكنى لم أجد مكانًا أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه .

وإنى لفى ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب لحجرتى وخدش يكاد لا يبين . ففتحت الباب فرأيت المخلوق المسكين قابعًا فى ركنه يرفع إلىَّ رأسه بجهد ثقيل . وينظر إلىَّ نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعه نظرة عين حيوانية أو إنسانية من معانى الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار . أحس المسكين وطأة الموت فتحامل على نفسه وخطا من حجرته إلى باب حجرتى وجلس هنا يخدش الباب حتى سمعته وفتحت له وهو لا يزيد على النظر والسكوت .

كان اليوم يوم أحد . ولكننا بحثنا عن الطبيب فى كل مظنة لوجوده حتى وُجِد ، وشاءت له مروءته الإنسانية أن يفارق صحبه وآله فى ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن مريضه الذى تعلق به وعطف عليه ، ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو يفارق هذه الدنيا التى لم يصحبها أكثر من سنتين .

سيبقى من صور الإسكندرية ما يبقى وسيزول منها ما يزول ، ولكنى لا أحسبنى ناسيًا ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل ، يقول بها كل ما تقوله عينٌ خلقها الله ويودعها كل ما ينطق به فم بليغ من استنجاد واستغفار ، كأنه يعلم أنه أقلقنى ولا يحسب ما كان فيه عذرًا كافيًا لإقلاق صديقه .

ومن شهد هذا المنظر مرّة في حياته علم أنه لا ينسى ، فإن لم يعلم ذلك فهو أقل الناس حظّاً من الخلائق الإنسانية ، لأن البعد من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيدًا من الحيوان . بل يقربه منه غاية التقريب . . .»

* * *

هذه كلمة من مقال نشر بمجلة الرسالة الغراء (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨) وفيها ما يصلح أن يكون مقدمة للقصيدة التالية . ولكنها مقدمة تفتقر إلى تتمة من مقال آخر نشر فى الرسالة أيضاً بعنوان «كلبى بيجو» قبل ذلك بنحو عام . وهذا هو المقال :

« . . . أنا أكتب هذا المقال عن «بيجو» وهو ينظر إلىّ ثم يذهب ويعود ليطل مرة أخرى ، ولا يدرى أننى أكتب عنه وأشيد بذكره . وكل ما يدريه أننى جالس فى هذا المكان الملعون الذى يحب كل مكان فى البيت غيره . وهو كرسى المكتب .

ففي كل مكان فى البيت يرانى مستعداً لملاعبته واستجابة نظراته والتفرج على فنونه وألاعيبه وقفزاته . أو يرانى مستعداً للإشارة إليه واستدعائه فإذا هو واثب وثبة واحدة إلى حيث يستوى على مكانه بجانبى ، ويغرينى بملاطفته ومجاملته أن أبذل له الملاطفة والمجاملة وأحييه بعبارات التودد والمساجلة . . . ينتظر منى ذلك في كل مكان إلا كرسى المكتب . فإذا جلست إليه لأكتب أو لأقرأ فهو حائر لا يدرى ما يصنع : يدنو من الكرسى إلى مسافة قصيرة ثم يرفع رأسه وينظر ، ثم يعيد النظر كرة أخرى . ولعله يسائل نفسه : ما بال صاحبى لا ينادينى ولا يجيبنى ؟ وما بال عينيه تتجهان أمامه وقلّما تتجهان ناحيتى ؟ فإذا طال عليه التساؤل والترقب رجع أدراجه وغاب هنيهة ثم عاد إلى المكتب يترقب كلمة النداء أو نظرة الاستدعاء أو لمسة التربيت والاحتفاء ، ولا يزال كذلك حتى ييأس ويسأم فيولى وجهه شطر ألعوبة يتلهى بها أو شغلة أخرى من الشواغل البديعة التى يفرضها على نفسه

ولا يفرضها أحد عليه ، وأولها حراسة الباب والعواء على من يصعدون السلم أو يهبطونه .

وقد تبعنى اليوم إلى المكتب ونظر إلىّ قليلاً ثم غادر المكان الملعون يائسًا عابسًا دون أن يلح فى الانتظار والمناورة . لأنه تعلم بالمرانة الطويلة أن الانتظار فى هذا المكان لا يفيد . وأن الكلب العاقل الرشيد هو الذى يغادر مكان الكتب والأوراق بغير تدبر ولا تأمل ولا إطالة . والحق معه حتى فى آراء الأناسى العقلاء الراشدين .

وقد أردت اليوم أن أدهشه وأخلف عادته فرفعت رأسى من الورق فى بعض جيئاته وصحت به مناديًا : بيجو ! بيجو ! تعال ! إن كتابتى اليوم تعنيك . ألا تريد أن تقرأ ما كتبت ؟ فوجم ولم يكد يصدق أذنيه . وتردد لحظة ثم قفز إلى الكرسى فالمكتب حيث الورق الذى أخط عليه هذا المقال . كأنه يريد حقاً أن يقرأه ويستطلع ما فيه ، وكأنه لا يفضل بالعقل والرشد أولئك الآدميين الذين يعنيهم ما يكتب عنهم الكاتبون كما ظننته لأول وهلة .

ولكنه ما لبث أن أخافنى من أسلوبه فى القراءة والمطالعة .

لأنه هو والتمزيق فى عرفه شىء واحد ، وهل هو بدع فى أسلوبه وهذا شأن كثير من الآدميين الذين أكتب عنهم ؟؟!

فنحيته برفق وحملته إلى الباب وأرسلته فى الدهليز وعدت إلى المكتب فأقفلته ، ولا أزال أسمع نباحه يلاحقنى بلهجات تتراوح بين الاستغراب والشكاية والسباب ! .

ويجب أَن أَعترف للقراء بأَن كلبي «بيجو» ليس بكلبي على التحقيق ، ولكنه كلبي في شريعة الدعوى والاغتصاب . أو هو كلب صديقي العزيز «فيفي» الذي لم يجاوز السنتين إلا منذ شهرين (١) . ولا أخاله إلا مطالبي به قريبًا بعد أن زال الموجب لإقصائه وهو انحراف صحته في موعد التسنين وفيما أصابه على أثر ذلك من مصاب أنقذه الله من خطره الشديد .

والأَصل في المصائب أَن تجمع بين الأَصدقاء لا أَن تفرق بينهما كما افترق فيفي وصديقه بيجو . ولكن اللوم في هذا الافتراق على صداقة بيجو دون غيرها – أي على إفراطه في الصداقة لا على تقصيره فيها – فمعاذ الله أَن يتهم كلب بخيانة الأَصدقاء .

كان بيجو يرى «فيفي» على سريره ساكنًا من التعب والإعياء فلا يحسب أَن شيئًا تغير بينه وبين مولاه . ويقفز إلى السرير ليعرض خدماته التي لا يكل عنها ولا يتوانى فيها وهي المواثبة والملاعبة واصطناع العض والمصارعة ومولاه في شاغل عن ذلك ، ولكنه هو لن يقبل العذر ولن يعرف شاغلا أَهم من تلك الخدمات المرفوضات .

وإذا أَقبل الطبيب وصرخ (فيفي) من مقاربته وجسه وفحصه كما يصرخ جميع الأَطفال من جميع الأَطباء فما هي إلا لحة كأَسرع ما يكون لمح البصر وإذا بأنياب (بيجو) توشك أَن تنغرس في ساق الطبيب الذي يعتدي على مولاه بما يبكيه ! أما إذا ربطوه

(١) هو موفق ، ابن الأستاذ حافظ جلال وكانوا يلقبونه «فيفي» .

اتقاءً لهذه المفاجآت فلا راحة ولا قرار فى البيت كله لا لمولاه العزيز ولا للنائمين حوله أو الساهرين عليه .

لهذا عوقب (بيجو) على إفراط صداقته بالنفى من جوار مولاه فى أثناء توعكه وانحراف مزاجه ، ورضيت أنا أن أتولى مؤاساته وحراسته أيام منفاه حتى تنجلى الغاشية فيعود إلى مأواه .

وما انقضت فترة وجيزة حتى أصبح (بيجو) شخصية من شخصيات البيت المعدودة . وحتى فرض على نفسه واجباتٍ وأعمالا لم يفرضها عليه أحد ، ولكنه يغضب ويتذمر إذا أنت قاطعته فيها أو عوّقته عنها ، كأنك تحسبه مخلوقًا عاطلا لا يصلح لعمل ولا يؤتمن على واجب . . . عرف الفرق بين جرس التليفون وجرس الباب فلا يدق هذا أو ذاك إلا أسرع إلى الإجابة وغضب من الخادم كلما سبقه إلى غرضه ، فتظاهر بَعَضِّهِ والوثوب عليه .

ومن عجائب ذكائه أنه إذا سمع جرس الباب أسرع إلى الباب ولم يفعل كما تعوّد أن يفعل حين يسمع جرس التليفون . مع أن جرس الباب يدق فى المطبخ حيث يكون الخادم ولا يدق فى المكان الذى يجرى إليه . ولعله عرف أن فتح الباب هو المقصود بدق الجرس فى المطبخ كلما جرى الخادم لفتحه على إثر سماع دقاته ، ولكنّ تفريقه بين الجرسين براعة تشهد له بالقدرة على مزاولة الأعمال والواجبات .

ومن الأعمال والواجبات التى فرضها على نفسه ولم يفرضها عليه أحد أنه لا يدع إنسانًا ولا حيوانًا يصعد السلم إلا أدركه بنباح الاحتجاج من وراء الباب ، فيعدو أمامى ويعود إلىّ ولا يزال

يرقص ويتوثب حتى أجزيه على استقباله بالتحية الواجبة والتربيت المحبب إليه . ألأَجل الطعام يهش لى (بيجو) هذه الهشاشة ويرعانى هذه الرعَاية ؟ أنا أَود من الباحثين فى طبائع الحيوان أن يراجعوا ملاحظاتهم وأحكامهم فى أسباب التألف والمودة بين الحيوان والإنسان . فإن إطعام الكلب ولا شك سبب من أَسباب وفائه وتعلقه بأَصحابه . ولكن لا شك أيضًا فى أَن الكلاب تفهم للمودة أسبابًا غير الإطعام وتدرك معنى من معانى الصلة النفسية ليس مما يرتبط بالمنافع .

وأَوضح دليل على ذلك أَن (بيجو) يعتبر نفسه تابعًا لمولاه (فيفى) ولا يعتبر نفسه تابعًا لأَبيه أو خادم أَبيه وكلاهما يطعمه ويلاطفه ويسقيه . أما (فيفى) فهو لا يطعمه ولا يسقيه ولا يتورع عن خطف طعامه إذا ساغ فى مذاقه ، وقد يتبرم به فيضربه أو يقبض على لسانه أو يضع إصبعه فى عينيه ، وبيجو فى كل ذلك لا يقابل الأَذى بمثله ولا يفتأ متعلقًا بالطفل أشد من تعلقه بآله وذويه .

فلما زارنى (فيفى) مع أَبيه بعد شفائه ونجاته من خطره كان المعقول المنظور أَن يخف (بيجو) إلى الأَب الكبير الذى يعنى بإطعامه وإيوائه ويشمله بمودته . غير أنه التفت أول ما التفت إلى (فيفى) العزيز دون غيره ، وتهافت عليه يعانقه ويلحس وجهه بلسانه ويئنّ أنينًا من فرط حنينه وفرحه ، وجهدنا جهدًا شديدًا فى التنحية بينه وبين مولاه الصغير لفرط ما أَرهقه بتحياته ومجاملاته . وكنا سبعةً منا أستاذ فى علم الزراعة والحيوان وأَخ له

أَديب جمّ الإطلاع وصديق مهذب من أُدباء الموظفين وسيدة إنجليزية وابنها اليافع ووالد فيفى وكاتب هذه السطور . فأتعبنا الكلب الأمين الودود جد التعب ونحن نبعده من هنا فيرجع من هناك على حال من اللهفة والاشتياق تجلب الدمع إلى الآماق . فماذا بين بيجو ومولاه فيفى من البر والمجاراة غير الصلة النفسية التى لا شأن لها بالطعام والشراب ؟ ولماذا يحسب نفسه تابعًا للطفل ولا يحسب نفسه تابعًا لأَبيه ؟ إنه لا يفقه أَنهم اهدوه إلى فيفى الصغير ليكون لعبته وحارسه وعشيره ، ولكنه قد يفقه أَنه نِدُّه وقرينه بواشجة الطفولة والملاعبة الصبيانية ، وهى على كل حال واشجة غير وشائج المنافع والطعام والشراب .

ويشبه هذا فى الدلالة على إدراك الخلائق العجماء للصلات النفسية أَن (بيجو) لا يطيق (الطاهى) أحمد حمزة ولا يرتاح إلى رؤيته ولا يسمع النداء على اسمه حتى يحسبه تهديدًا له بالعقوبة والإقصاء . . . وهو مع هذا يألف فراش المنزل (محمدًا) ويهش له ويستريح إلى مصاحبته فى المنزل وفى الطريق . فَلِمَ كانت هذه التفرقة عنده بين هذا وذاك ؟! كلاهما يقدِّم له الطعام ، ويزيد صديقه (محمد) بتجريعه الدواء الذى يتعاطاه لعلاج السعال أَحيانًا وهو يمقته وينفر منه أشد النفور . غير أَن الطاهى (أحمد حمزة) يتحاشى (بيجو) خوفًا من النجاسة فيشعر (بيجو) بِجَفائه ويلقاه بمثله ، ويحتمل التجريع والغصص من زميله لأَنه يحتفى به ويأنس إليه .

ومن إدراكه (للمعانى) الفكرية أنك إذا لمسته بالعصا وهو غافل

عن رؤيتها فهو لا يبالى ولا يحفل ولا يحسبك غاضبًا أو قاصدًا لعقابه . ولكنه إذا التفت إليك ورأى أن العصا هي عصا التأديب التى تخوّفه بها ظهر عليه الرعب أو ظهر عليه الأسف والتوسل ، كأنه يقرن بالعقاب معنى غير معنى الضرب وألمه ، وهو استياء سيده وإعداده له عدة العقاب . . .

والخلاصة أن (بيجو) مخلوق مفيد ومخلوق أنيس ، وهو أفيد ما يكون فى المكتبة التى يمقتها ويستثقل ظلها ، لأننى استفدت على يديه فوائد جليلة وأنا أقرأ بعض الكتب الحديثة فى علم النفس وعلم الاجتماع .

يقول علم النفس : إن التعاطف فى التربية والتعليم أنفع وأنجع من تبادل الأفكار ، وبيجو يؤكد لى ذلك لأننى أرى منه أن الكلاب أسرع تعلمًا من القردة وهى أرفع فى مرتبة التكوين والإدراك . وإنما فاقت الكلاب القردة بسرعة التعلم لأنها عاشرت الإنسان طويلا فاتصلت بينه وبينها العاطفة وإن لم يتقارب بينه وبينها تركيب الأعصاب والدماغ .

ويقول علماء الاجتماع من أنصار (الفاشية) . إن الغرائز لا تتبدل وإن الحرب والعدوان غريزة الإنسان . فلا فائدة لوعظ الواعظين بالسلام ونصح الناصحين بالإخاء والعدل والمساواة . وبيجو يُدحِضُ ذلك أيما إدحاض ، لأنه تحدر من سلالة الذئاب فما زالت به التربية والمصانعة حتى أصبح حارس الأطفال والحملان . وقد كان قبل ذلك آفة كل طفل من بنى الإنسان وكل صغير أو كبير من أبناء الضأن .

ويعد (بيجو) بحق من أحسن الشراح للعالم الروسى العظيم (بافلوف) صاحب التجارب المشهورة فى إخوان بيجو من الكلاب الروسية . فإنه جرّب أن الكلب يسيل لعابه إذا شاهد الطعام . فقرن بين تحضير الطعام له ودق الجرس على مقربة منه . فإذا بفمه يتحلب كذلك كلما دق الجرس ولو لم تصحبه رؤية طعام فبنى على ذلك مذهبه فى مقارنات العواطف ومصاحبات الشعور وظواهره الجسدية .

وجاء علماء النفس والتربية فاستفادوا من ذلك فوائد شتى فى علاج الخوف والجشع والعادات الذميمة التى يصعب علاجها فى بعض الأطفال ، فجعلوا يقرنون الشىء المخيف بالشىء المحبوب ليعوّدوا الطفل أن يسكن إليه ولا يخشاه ، ويقرنون الشىء المرذول الذى يحبه الطفل بالشىء المزعج الذى يقصيه عنه وينفره من إتيانه ليقلع عن ذميم الخلال بداهة وعفوًا بغير أمر ولا إلحاح .

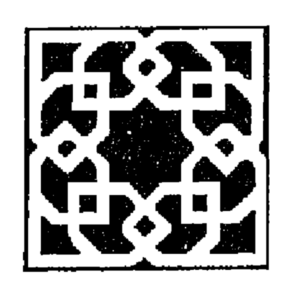
بيجو خير مفسر لهذا المذهب النافع الذى كان الفضل الأول فيه لواحد من أبناء جنسه . فقد عهدته فى منزله الأول وليس أبغض إليه من السلسلة والطوق ، لأنهم كانو يقيدونه بهما فى حديقة الدار كلما أضجرهم بعبثه وفضوله .

فلما جاء عندى وليس للمنزل حديقة واسعة أطلقه فيها أصبحت السلسلة والطوق من أحب الأشياء إليه وأدعاهما إلى طربه وابتهاجه . . . لأنه تعوّد كلما ربط بالسلسلة والطوق أن يخرج مع الخادم لغشيان الطريق وقضاء ساعته المنذورة للمرح والرياضة فى الخلاء .

ولبيجو فنون أُخرى يشارك فى تفسيرها وتفهمها وفضائل شتى يتبرع بهداياها ومزاياها ، وإن فى بعض هذا لما هو حسبنا من تقدير للأستاذ بيجو والصديق بيجو والزائر الكريم بيجو . الذى نخشى أَن نسطو عليه ، لفرط ما نستفيد منه ونأنس إليه .

* * *

والآن وقد عرف القارئ من هو (بيجو) لا أَرانى بحاجة إلى اعتذار من الحزن والوفاء لذكراه . فإنه لم يخطئ فى وفائه ولم يخطىء فى خلقته . ولم يخلق إنسانًا فدنس الإنسانية بالغدر ، ولكنه خلق كلبًا فشرّف الحيوانية بالوفاء .



بيجو

حزنًا على بيجو تفيض الدموع
حزنًا على بيجو تثور الضلوع
حزنًا عليه جهدَ ما أستطيع
وإن حزنًا بعد ذاك الولوع
والله - يا بيجو - لحزن وجيع

* * *

حزنًا عليه كلما لاح لى
بالليل فى ناحية المنزل
مسامرى حينًا ومستقبلى
وسابقى حينًا إلى مدخلى
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحفْ
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبى من أَسف
أَلا يصيب اليوم منها الهدف . . .
ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

حزنى عليه كلما عزنى
صدق ذوى الأَلباب والأَلسن
وكلما فوجئت فى مأمنى

وكلما اطمأننت فى مسكنى
مستغنيًا . أو غانيًا بالقنوع

* * *

وكلما ناديته ناسيا :
بيجو ! ولم أبصر به آتيا
مداعبًا مبتهجا صاغيا . . .
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت ؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
حسبنى ذاكِرَهُ ما حييت
لو جاءنى نسيانه ما رضيت
بيجو مُعَزِّىٌّ إذ ما أسيتْ (١)
بيجو مناجِىٌ الأَمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيجو الذى أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعجنى بالصياح
لو نبحةٌ منه ، وأين النباح ؟
ضيعت فيها اليوم ما لا يَضيع

* * *

خطوته . . يا برحها من أَلم
يخدشُ بابى وهو ذاوى القدم

(١) أسيت : شعرت بالأسى .

مـسـتنجـداً بى . ويح ذاك البَكَمْ !
بـنـظـرة أنـطـقَ مـن كـل فـم
طول مـــا يـنظر . ! هـذا فـظيع

* * *

نَـمْ لا أَرى النوم لعـيـنى تطيب
أنتم خـبـيـرون بنهش القلوب
يا آل قِطْمـيـرَ هواكم عـجـيب [1]
غـابَ سَنا عـينيك عند الغـروب
وتنقـضى الدنيـا . . . ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأَفـواج يوم الأَحـد
والبـحـر طاغ والمدى لا يُحَدّ
عـيناى فى ذاك وهذا الجسـد
عـيناى فى ذاك وهلذا الجسـد
بوشـحـة القلب الحزين انفـرد
والليل . والـنجم . وشـعب خليع !

* * *

أَبكيك . أبكيك وقلّ الجـزاء
يا واهب الود بمحض السـخـاء
يكذب من قـال طعـام ومـاء
لو صح هذا مـا مَـحَـضْتَ الوفـاء
لغـائب عنك . وطفل رضـيع

(١) قطمير هو اسم كلب أهل الكهف .

الفهرس

من مؤلفات عملاق الأدب العربى الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

١ - الله
٢ - إبراهيم أبو الأنبياء
٣ - مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية
٤ - عبقرية محمد ﷺ
٥ - عبقرية عمر
٦ - عبقرية الإمام على بن أبى طالب
٧ - عبقرية خالد
٨ - حياة المسيح
٩ - ذو النورين عثمان بن عفان
١٠ - عمرو بن العاص
١١ - معاوية بن أبى سفيان
١٢ - داعى السماء بلال بن رباح
١٣ - أبو الشهداء الحسين بن على
١٤ - فاطمة الزهراء والفاطميون
١٥ - هذه الشجرة
١٦ - إبليس
١٧ - جحا الضاحك المضحك
١٨ - أبو نواس
١٩ - الإنسان فى القرآن
٢٠ - المرأة فى القرآن
٢١ - عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمدعبده
٢٢ - سعد زغلول زعيم الثورة
٢٣ - روح عظيم المهاتما غاندى
٢٤ - عبدالرحمن الكواكبى
٢٥ - رجعة أبى العلاء
٢٦ - رجال عرفتهم
٢٧ - سارة
٢٨ - الإسلام دعوة عالمية
٢٩ - الإسلام فى القرن العشرين
٣٠ - مايقال عن الإسلام
٣١ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
٣٢ - التفكير فريضة إسلامية
٣٣ - الفلسفة القرآنية
٣٤ - الديمقراطية فى الإسلام
٣٥ - أثر العرب فى الحضارة الأوربية
٣٦ - الثقافة العربية
٣٧ - اللغة الشاعرة
٣٨ - شعراء مصر وبيئاتهم
٣٩ - أشتات مجتمعات
٤٠ - حياة قلم
٤١ - خلاصة اليومية والشذور
٤٢ - مذهب ذوى العاهات
٤٣ - لا شيوعية ولا استعمار
٤٤ - الشيوعية والإنسانية

٤٥ – الصهيونية العالمية
٤٦ – أسوان
٤٧ – أنا
٤٨ – عبقرية الصديق
٤٩ – الصديقة بنت الصديق
٥٠ – الإسلام والحضارة الإنسانية
٥١ – مجمع الأحياء
٥٢ – الحكم المطلق
٥٣ – يوميات – جزء أول
٥٤ – يوميات – جزء ثانى
٥٥ – عالم السدود والقيود
٥٦ – مع عاهل الجزيرة العربية
٥٧ – مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٥٨ – دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٥٩ – أراء فى الأدب والفنون
٦٠ – بحوث فى اللغة والأدب
٦١ – خواطر فى الفن والقصة
٦٢ – دين وفن وفلسفة
٦٣ – فنون وشجون
٦٤ – قيم ومعايير
٦٥ – ديوان فى الأدب والنقد
٦٦ – عبد القلم
٦٧ – ردود وحدود



من شعر عملاق الأدب العربي
عباس محمود العقاد

١. ديوان يقظة الصباح
٢. ديوان وهج الظهيرة
٣. ديوان أشباح الأصيل
٤. ديوان وحي الأربعين
٥. ديوان هدية الكروان
٦. ديوان عابر سبيل
٧. ديوان أعاصير مغرب
٨. ديوان بعد الأعاصير
٩. ديوان عرائس وشياطين
١٠. ديوان أشجان الليل
١١. ديوان من دواوين

